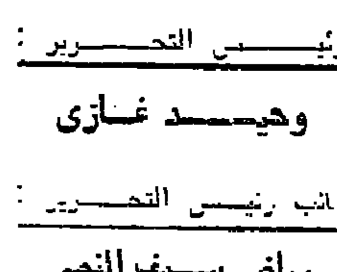
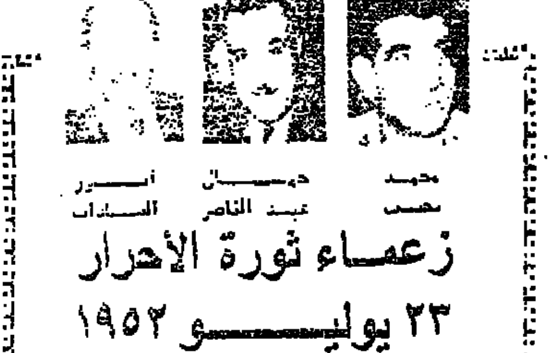



محمد نجيب — جمال عبد الناصر — أنور السادات

زعماء ثورة الأحرار

٢٣ يوليو ١٩٥٢

عدد الخميس

الأحرار

* حرية سياسية ــ عدالة اجتماعية *

رئيس مجلس الادارة : مصطفى كامل مراد

نائب رئيس مجلس الادارة : أحمد نوار

رئيس التحرير : وحيد غازى

نائب رئيس التحرير : رياض سيف النصر

جريدة حزب الأحرار
٩ ش الجمهورية - القاهرة
ت : ٩٠٩٠٤٥/٩٠٩٧٠٦/٩١٤٢٢٠

الطباعة : مطابع الأهرام
التوزيع : مؤسسة الأهرام
الاشتراكات عن سنة :
جمهورية مصر ٦٠٠ قرش
دول عربية ١٠٠٠ قرش
أوروبا وأمريكا ٤٠٠٠ قرش

الخميس ١٩٨٤/١١/٨ م ١٤ من صفر ١٤٠٥ هـ | السنة : السابعة | العدد ٣٦٢ | ٨ صفحات ــ ١٠ قروش

قولى ياحسنين ياخويا ...
هم الخمسين فى الميه بتوعنا إللى فى مجلس الشعب .. لسه فلاحين برضه ؟!

ياأخى كل حاجة ممكن يحصل فيها أزمة ... إلا الكوسة !!

أزمة السكر

طالبت جامعات عين شمس والقاهرة والاسكندرية بالغاء الدعم خلال مدة زمنية لاتتجاوز ٥ سنوات .

اكدت الجامعات فى دراساتها حول قضية الدعم ــ ضرورة رفع الاجور بنسبة تتراوح ما بين ٧٠ و ٨٠ فى المائة .

من المتوقع أن تنتهى بقية الجامعات من دراساتها حول قضية الدعم خلال اسبوعين تمهيدا لاعداد تقرير موحد بوجهة نظر الجامعات فى الدعم

★★

١٨ مسئولا منحتهم الحكومة شهادات تقدير واحالتهم النيابة للمحاكمة

قررت النيابة الادارية احالة ١٨ من كبار المسئولين بالشركة المصرية العامة للسياحة والفنادق (ايجوث) الى المحكمة التأديبية بعد منحهم شهادات تقدير ! !

وجهت النيابة الى المسئولين تهمة عدم المحافظة على أموال الشركة التى يعملون بها .. ومخالفة احكام اللوائح المالية ولائحة المشتريات بالشركة .

الطريف أن هؤلاء المسئولين كانوا قد منحوا أواخر الشهر الماضى ــ اكتوبر ــ شهادات تقدير نظرا لجهودهم للارتقاء بالعمل داخل الشركة !!

كان محمد الامين الحسينى الوكيل العام للنيابة الادارية قد تولى التحقيق مع هؤلاء المسئولين وقرر احالتهم الى المحكمة !

(التفاصيل ص ٥)

مصطفى كامل مراد :

تحية الى ثورة الجزائر فى عيد ميلادها الثلاثين



مصطفى كامل مراد

كتب ــ هشام طنطاوى :

وجه مصطفى كامل مراد رئيس حزب الاحرار كلمة أمام الامانة العامة لاعادة تنظيم الحزب مساء الاثنين الماضى هنأ فيها الشعب الجزائرى بذكرى مرور ثلاثين عاما على قيام الثورة .

وأكد زعيم الاحرار .. أن الجزائر مازالت تنظر الى مصر نظرة الشقيقة العربية الكبرى .. وخاصة بعد أن وجهت الحكومة الجزائرية دعوتها لرجال الساسة المصريين للمشاركة فى عيد ثورتها .. فتحية لثورة الجزائر العظيمة وتحية لشعب الجزائر الشقيق وتحية للرئيس الجزائرى الشاذلى بن جديد ومعاونيه من القادة الجزائريين .

اجتماعات « مغلقة » بين وزير المالية ومأمورى الضرائب حديثى التعين



صلاح حامد

كتب حمدى حمادة :

عقد الدكتور صلاح حامد وزير المالية عدة اجتماعات مغلقة مع مأمورى الضرائب من الشباب الذين لم يمض على تعيينهم أكثر من ٣ سنوات !

رفض الوزير حضور القيادات الضرائبية هذه الاجتماعات .

احتج عدد من قيادات مأموريات الضرائب على هذه الاجتماعات

★

النيابة العامة تحقق ... سرقة الاخشاب بالغربية

تقوم النيابة العامة بالغربية بالتحقيق فى حوادث سرقة الاخشاب التى يتم صرفها لبعض الوحدات المحلية .

ــ وكانت قد ظهرت أثناء الجرد السنوى بالوحدة المحلية لقرية صالحجر

ــ عجز فى كميات كبيرة من الاخشاب

ــ قام رئيس وحدة بتحويل أحد العمال للشئون القانونية للتحقيق معه

ــ اعلن العامل المتهم ان رئيس الوحدة هو الذى سرق الاخشاب

ــ وقام العامل بابلاغ النيابة العامة ضد رئيس الوحدة .

★★

اجرى حركة ترقيات قبل احالته للمعاش بدقائق

اجرى أحمد أبو النصر رئيس هيئة الاوقاف السابق حركة ترقيات لبعض موظفى الهيئة قبل احالته الى المعاش بدقائق !

شملت الترقيات ٤ موظفين بادارة الملكية العقارية بالهيئة .

الجدير بالذكر أن رئيس الهيئة قد احيل الى المعاش يوم ٣١ اكتوبر الماضى . وأجرى حركة الترقيات فى نفس اليوم مخالفا اللائحة التى تنص على عدم اجراء أية ترقيات قبل نهاية ديسمبر من كل عام .

★★

هدموا مسجد القرية ... قبل الانتخابات ...... وأصبحت بدون مسجد ..

قبل انتخابات مجلس الشعب الماضية قام أحد أعضاء مجلس الشعب « حزب وطنى » بمحافظة الغربية بهدم مسجد « سيدى الاربعين » بقرية شبشير الحصة ــ محافظة الغربية ، على ان يقوم ببناء مسجد جديد فى القرية على أحدث طراز بدلا من المسجد القديم .

وانتهت الانتخابات ونجح العضو ودخل مجلس الشعب ، ثم اختفى عن انظار أهالى القرية واصبحت القرية الان بدون مسجد .

★★

نقل ٤٧ موظفا بشبرا الخيمة ..... لاسباب غير معروفة ...

اصدر رئيس مجلس مدينة شبرا الخيمة قرارا غريبا بنقل ٤٧ موظفا بجهاز الايرادات الى مكان آخر يوجد أسفل كوبرى أحمد عرابى لا يصلح لمزاولة أى عمل حيث كان هذا يستخدم كمخازن للقطاع العام ورفضوا اصلاحه .. قرار رئيس مجلس المدينه لم يستند الى اية أسباب موضوعية أو حتى أى سبب كان .

★★

مخالفات المرور .... لاتمثل الواقع .....

اكتشف احد المستشارين ان مخالفات المرور التى تحرر فى أوراق رسمية لاتمثل الواقع ..

وتبين أن المجندين فى الامن المركزى يقومون بتحرير مخالفات على ورق عادى ثم يسلمونها لضباط وامناء الشرطة لتحرير مخالفات تحمل اسم الضابط او الامين حامل الدفتر .

★

المعارضة تطالب بعودة العلاقات المصرية الجزائرية

اعرب رجال المعارضة المصرية اثناء مشاركتهم فى اعياد ثورة الجزائر عن رغبتهم فى عودة العلاقات المصرية الجزائرية

اجاب الرئيس الجزائرى الشاذلى بن جديد بأن عودة العلاقات المصرية الجزائرية أمر له أهميته ولكن خطوة منكم وخطوة منا

★★

هيئة السكك الحديدية .. تضاعف أسعار التذاكر ..

ضاعفت هيئة السكك الحديدية اسعار التذاكر من « القاهرة » الى « القناطر الخيرية » ــ المحطة القديمة ــ من خمسة قروش الى عشرة قروش بعد تغيير عربات القطارات الخشبية الى عربات سياحية .

★

٧ يناير القادم لنظر الطعن فى انتخابات التجاريين

حددت المحكمة الادارية العليا النطق بالحكم فى قضية نقابة التجاريين يوم ٧ يناير القادم

فجأة .. اختفت الدواجن والسمك البلطى من المجمعات الاستهلاكية

اختفت الدواجن المجمدة من المجمعات الاستهلاكية .

نقصت الكميات المعروضة منها . بسبب تأخر الكميات المتعاقد عليها وعدم وصول البواخر فى مواعيدها ..

تسبب نقص المعروض من الدواجن المجمدة فى ارتفاع أسعار دواجن المزارع البيضاء فوصل سعر الكيلو الى ١٨٠ ــ ١٩٠ قرشا قائما بزيادة مابين ٦٠ ــ ٧٠ قرشا للكيلو عن اسعار شهرى سبتمبر واوائل اكتوبر ..

قررت المجمعات الاستهلاكية قصر صرف الدواجن على البطاقة التموينية وبواقع دجاجتين لكل بطاقة .

فى نفس الوقت اختفى ايضا بلطى أسوان .. وتأخر صرف الكميات المقررة للجمعيات الفئوية من اسماك الفيليه ..

رفعت شركة مصر اسوان سعر السمك الفيليه ليصبح ثمن العبوة ٧٥٠ جراما جنيهين .. بينما سعره المقرر تموينيا ١١٠ قروش للكيلو .

★

كلمة الأحرار

لقد ظهر واضحا جليا ما حققه السد العالى من فوائد كبيرة عادت على الاقتصاد المصرى بالخير والنماء .

أولاها : انه وفر للبلاد كميات كبيرة من المياه مكنته من تحويل ما يقرب من مليون فدان من رى الحياض الى الرى المستديم وبذلك أصبحت هذه الارض تعطى محصولين بدلا من محصول واحد .

ثانيها : انه حمى البلاد من الاثار السيئة التى تترتب على ضعف الفيضان . أى قلة ايراد النهر فى موسم الفيضان مما يؤثر بدوره على مساحة المحاصيل المنزرعة . وعلى حجم الانتاج الزراعى خاصة اذا علمنا ان فيضان النيل هذا العام هو اقل فيضان تشهدته البلاد منذ سبعين عاما . بالاضافة الى ما يقرب من خمسة فيضانات ضعيفة خلال العشرين عاما الماضية .. أى أن مخزون المياه وراء السد العالى حمى البلاد من كوارث كانت تتعرض لها نتيجة ضعف الفيضانات وهو أمر يجب ان تبرزه وزارة الرى مدعما بالارقام

ثالثها : أتاح السد العالى توليد طاقة كهربائية تقدر بــ ٢ مليون كيلووات / ساعة . تستخدم فى تشغيل المصانع والانارة ويقدر سعرها الدولى بما يقرب من ٦٠ مليون جنيه سنويا .

رابعها : انه اذا كانت هناك آثار جانبية للسد العالى فلنضع خطة لتلافى هذه الاثار الجانبية التى اذا قورنت بمزايا السد العالى وما حققه من وفرة فى المياه وزيادة فى مساحة الاراضى المزروعة وبالتالى زيادة الانتاج لاتضح أن السد العالى الذى أقامه جمال عبد الناصر وثورة يوليو . كان من أعظم المشروعات الاقتصادية

مصطفى كامل مراد

فى هذا العدد

★★

★

مجلس مدينة الغردقة يتحايل على المواطنين ويرفض تسليم أراض باعها من ٨ سنوات

رفض مجلس مدينة الغردقة تسليم المواطنين الاراضى التى قاموا بشرائها من المجلس منذ أكثر من ٨ سنوات .

ساوم المجلس المواطنين من أصحاب الاراضى بالانتظار حتى يتم تقسيم منطقة أخرى لبيعها لهم او استرداد أموالهم .

تعلل مجلس المدينة بان الاراضى التى اشتراها المواطنون تقع فى المنطقة السياحية .

كان المجلس قد أعلن فى عام ١٩٧٥ عن بيع أراضى للمواطنين

تقدم بعض المواطنين الى المجلس وقاموا بدفع ثمن الارض

فوجىء المواطنون برفض المجلس تسليم الاراضى لهم بعد مرور أكثر من ٨ سنوات على تسديد ثمن الارض . !

★★

٢٠٠ ألف جنيه خسائر بحيرة أدكو بسبب الاهمال

تسبب اهمال المسئولين عن الثروة السمكية بمدينة ادكو بمحافظة البحيرة فى ضياع ثروة سمكية قيمتها ٢٠٠ ألف جنيه .

كانت بحيرة الثروة السمكية بمدينة ادكو قد تعفنت مياهها بسبب انسداد منافذها بنبات ــ ورد النيل ــ .

★★

مطار امبابة يتوقف ... عن التدريب ......

توقفت أعمال التدريب بمطار امبابة والمعهد القومى لتدريب طلبة الطيران الزراعى منذ أكثر من شهر .

كان أحد المقاولين قد اقام عمارة سكنية مجاورة للمعهد والمطار ومخالفة للمواصفات القانونية الخاصة بالانشاءات المجاورة للمطارات ، مما تسبب فى توقف حركة الطيران .

★

الغاء تراخيص محلات بيع الخمور بحى شمال القاهرة وشبرا ....

كتب ــ مصرى البرديسى :

اوصى المجلس الشعبى المحلى لحى شمال القاهرة بالغاء تراخيص محلات بيع المشروبات الكحولية ــ وتصنيع الخمور والبيرة بحى شمال القاهرة وشبرا .

جاءت هذه التوصية بناء على ان هاتين المنطقتين من الاحياء الشعبية التى لا توجد بها اماكن سياحية ولا يقطنها اجانب والتزاما بالشريعة الاسلامية والقرآن الكريم .

تشكيلات المحافظات السياسية الخارجية أمام لجنة تنظيم الحزب

عقدت الامانة العامة لجنة اعادة تنظيم حزب الاحرار اجتماعها الدورى مساء الاثنين الماضى .

ناقشت الامانة التشكيلات الجديدة للحزب بالقرى والمراكز ..

اكد رئيس الحزب على ضرورة الالتحام بالجماهير للتعرف على مشاكلهم وتوعيتهم سياسيا ..

★★

أبو غزالة يرفض عقد جلسة سرية بمجلس الشعب لمناقشة ... استراتيجية الامن ...

رفض المشير عبد الحليم أبو غزالة نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع عقد جلسة سرية لمجلس الشعب لمناقشة استراتيجية الامن القومى فى مصر ..

دعا المشير أبو غزالة الصحفيين البرلمانيين لحضور الجلسة رغم اقتراح الدكتور رفعت المحجوب رئيس المجلس باغلاق الجلسة أمام الصحفيين

قال أبو غزالة اننى اثق فى وطنية الصحفيين وحبهم لمصر

★★

استمرار انخفاض انتاج بحيرة ناصر من الاسماك

اكدت التقارير الفنية استمرار انخفاض بحيرة « ناصر » من الاسماك عاما بعد عام ..

بلغت الانتاجية عام ٨٢ ــ ٨٣ ، ٣٠ الف طن .. و ٢٧ الف طن فى العام التالى .

اكد الخبراء أن سبب نقص الانتاج السمكى فى البحيرة يعود الى خلو المسطحات الرئيسية ووسط البحيرة من الاسماك ..

قال الخبراء أن استغلال البحيرة الاصل لم يطبق بصورة جدية .. خاصة وأن نوعيات أسماك المياه العذبة الجيدة تكاد تكون محدودة .

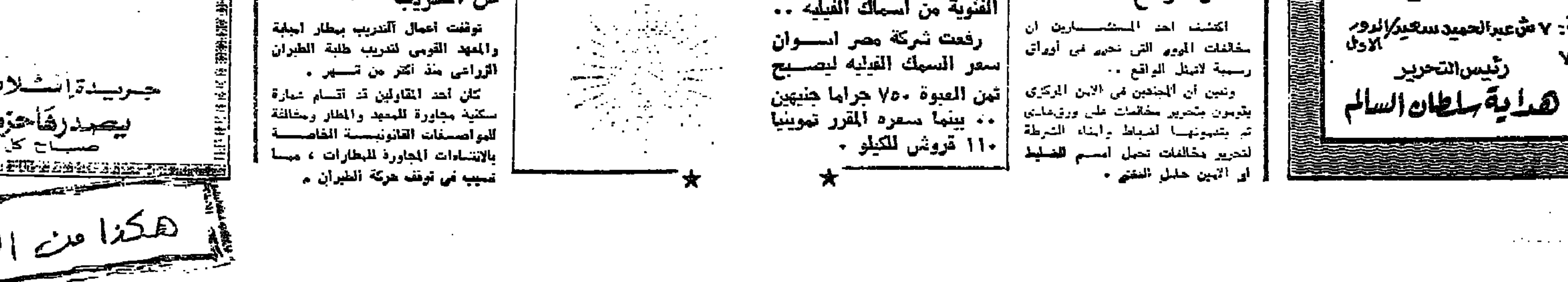
★★

رفض مضاعفة أتوبيسات طلاب جامعة عين شمس

رفضت هيئة النقل العام ــ طلب جامعة عين شمس بمضاعفة عدد الاتوبيسات لنقل طلاب الجامعة وموظفيها لمواجهة الزيادة فى اعداد الطلاب والذين بلغ عددهم ١٠٠ ألف طالب وطالبة

رفضت الهيئة الطلب بدعوى انها لا تملك عددا كافيا من الاتوبيسات ..

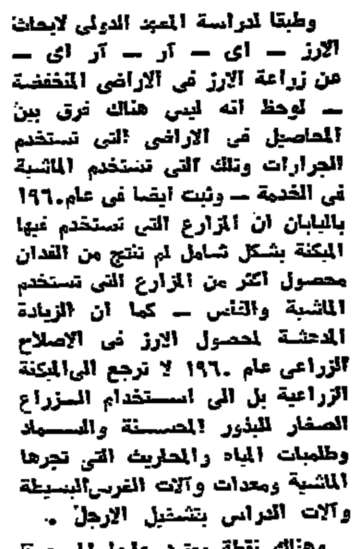
اضطرت الجامعة الى حرمان موظفيها والبالغ عددهم ٧ آلاف موظف من ركوب الاتوبيسات



هكذا من الاصل

صـــفحة يشرف عليها : محمـــود فـــوزى





الجوع يهـدد العـالم

هـل يحـل نشـر الميـكنة الزراعيـة مشـكلة الجـوع ؟

ينظر الى الميكنة الزراعية كعنصر هام فى مكافحة الجوع فى البلاد النامية ـ ولاشك ان فى الدول التى تقل فيها اليد العاملة او ترتفع فيها اجورهـا ارتفاعا باهظا يكون الاعتماد على الميكنة الزراعية عنصرا هاما ـ ولكن هل هذا حقيقى فى كل الاحوال ؟؟

ان الدول التى بها قوة كافية من العمالة الزراعية المهم فيها هو زيادة غلة الفدان من المحاصيل . وعادة لاتكون الالة هى سبب زيادة الانتـاج بل السبب هو زراعة كثيفة وحريصة من جانب اناس تعتمد حياتهم على الانتاج .

وطبقا لدراسة المعهد الدولى لابحاث الارز ـ اى ـ آر ـ آر اى ـ عن زراعة الارز فى الاراضى المنخفضة ـ لوحظ انه ليس هناك فرق بين المحاصيل فى الاراضى التى تستخدم الجرارات وتلك التى تستخدم الماشية فى الخدمة ـ وثبت ايضا فى عام ١٩٦٠ باليابان ان المزارع التى تستخدم فيها الميكنة بشكل شامل لم تنتج من الفدان محصول اكثر من المزارع التى تستخدم الماشية والناس ـ كما ان الزيادة المدهشة لمحصول الارز فى الاصلاح الزراعى عام ١٩٦٠ لا ترجع الى الميكنة الزراعية بل الى اســتخدام المـزارع الصغار للبذور المحسنة والسـماد وطلمبات المياه والمحاريث التى تجرها الماشية ومعدات وآلات الغرس البسيطة وآلات الدراس بتشغيل الارجل .

وهناك نقطة يعتمد عليها المروجون للميكنة الزراعية وهى ان البذور السريعة النمو والمستنبطة فى الثروة الخضراء جعلت من الممكن زراعة محصولين ـ واحيانا اكثر على التوالى فى نفس الحقل خلال عام واحد ـ ويضيف هؤلاء المروجون ان ذلك يوجد اختناقات فى العمل دائما خلال وقت الحصاد ووقت الزراعة بسبب العمل الاضافى المطلوب لزرع وحصـــاد كل محصول بسرعـــة حتى يمكن زراعة المحصول التـــالى بسرعة .

ولكن كلمة اختناق يجب تفسيرها ـ فالاختناق بالنسبة لحائز الارض قد يعنى انه الوقت من السنة الذى يكون عليه فيه أن يدفع اجورا أعلا للعمال لانه من البديهى ان زيادة الطلب على اليد العاملة يمنح العمال قوة مساومة بعض الشىء ـ ونفس هذه الفترة التى يسميها صاحب الارض اختناقا . قد تكون هى الفترة التى يعتمد عليها العامل لكسب اموال اضافية يحيا بها خلال باقى العام حيث يصبح العمل اقل طلبا واقل اجورا .

وعلى كل حال فان الميكنة على نطاق متسع قد لاتكون هى الحل الاوحد لمشكلة فترات الاختناق فى الاحتياج الى العمالة الزراعية ـ فان توزيع فترات الحصاد باستخدام انواع من البذور والمحاصيل ذات فترات نضج متفاوتة يؤدى الى توزيع العمالة طول العام ـ جاء ذلك فى كتاب دكتور اندرو بيرسى ـ عن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية للانتاج الواسع ـ صدر فى جنيف ١٩٧٥ ..

كذلك يمكن عمل تكامل وتنسيق بين الصناعات والخدمات الخفيفة للعمـــال فى الريف كما يحدث فى مصر والصين .. ففى الصين يعمل عدد كبير من العمال فى الصناعات المحلية وهذه المجموعة تمثل قوة عمـل احتيـاطية حاسمة للمساعدة فى العمل فى فترات الاختناق فى الزراعة ـ وفور انتهاء هذه الفترة التى تحتاج الى عمل كثير ـ يعود هؤلاء العمال الى صناعاتهم الخفيفة .

ان دخول الالات الزراعية بوفرة فى الدول التى تعانى من البطالة الزراعية يجب ان يكون بحذر ـ ولقد كانت بذور الثورة الخضراء اكبر فرصة لزيادة العمالة الزراعية حيث تحتاج هـذه البذور الى عناية اكبر واستخدام امثل للاسمدة ولكن الذين خدموا الثـورة الخضراء للعالم قدموا معها التوسع فى الميكنة الزراعية وقد يكون هذا مستساغا ومفيدا فى الدول التى تعانى من نقص العمالة اما الدول التى بها بطالة زراعية فى العمل فالنتيجة تقليل عدد العمال اللازمين للعمل الزراعى وتقليل ساعات عملهم وبالتالى تقليل اجورهم مما يزيد الجوع لديهم .

ففى كولومبيا مثلا اجرى تقـدير لمتطلبات العمالة اللازمة لاستخدام البذور العالية الانتاج والمزيد من الســماد والمزيد من العناية والخدمة فاتضح انه بدون التوسع فى الميكنة الزراعية تتطلب هذه التحسينات ٤٥ فى المائة زيادة للعمل الادمى فى الفدان ـ اما بالتوسع فى الميكنة الزراعية فالنتيجة ٤٣ فى المائة عمل اقل للفدان ـ مكتب العمل الدولى ـ جنيف ١٩٧٢ ـ الميكنـة والعمالة .

وامكانات استخدام العمـالة فى زراعة البذور الحديثة عالية الانتـاج ترجع الى عوامل كثيرة منها ان هذه البذور سريعة النمو والنضج تسـمح للزراع بزراعة اكثر من محصول واحد فى العام وبذلك تزداد الحاجة الى العمل البشرى .. ولو اســتخدمت الالات البسيطة فى هذه العمليات ـ فستحتجز العمل تماما دون التوسع فى الميكنة الكبيرة مما يهدد ملايين العمال بالجوع وفى الصين اكتشفوا ان بامكان الزراع جنى ثلاثة محاصيل اذا شارك فريق كامل فى الزراعة الكثيفة يدويا بدل الاعتماد على آلة الغرس .

والعجيب ان وراء نشر الميكنـة الزراعية قوى كبيرة لا يهمها ما سيؤدى اليه نشر الميكنة الزراعية بتوسع من كوارث للعمال الزراعيين فان التوسع فى الميكنة يجعل كبار الملاك الزراعيين يزيدون من ملكياتهم وزراعاتهم ويخرجون المستاجرين من اراضيهم .. فمثـلا منظمة الاغذية ـ كما يقول دكتـور مور لابيه ـ بدلا من ان تساعد على تطوير البدائل الملائمة تصبح سمسارا بين مختلف الدول وبين شركات الالات الزراعية المتعددة الجنسيات ـ اذ تضم مجموعة العمل الاستشارية لميكنـة الزراعة فى كولومبيا لكل دول امريكا اللاتينية التى تتحدث بالاسبانية .

ان من يروجون للتوسع فى استخدام الميكنة الزراعية يضربون المثل بالصين حيث انتشرت الالات الصغيرة ـ ولكن المشكلة ليست الميكنة الزراعية فى حد ذاتها بل المشكلة هى فى من يملك هذه الالات وكيف تستخدم . فاذا كانت الالات ملك العمال الزراعيين من صغار الفلاحين مع متوسطيهم ـ ستكون خيرا للعمال والمجتمع والدولة اما ان يمتلك الالات كبار الزراع فانهم سيستغلون العمال وصغار الفلاحين باجور قليلة للعمال وتكاليف باهظة للفلاحين . . وخطط الصينيون لتوفير جرارات ـ زراعية ـ بمعدل جرار لكل ١٢٥ فدانا اما فى اليابان فجرار لكل ٢.٥ فدان ـ د. ماشو عام ١٩٧٨ .

ولدى كوبا الان اكبر كثافة للجرارات فى كل أمريكا اللاتينية . وكانت قصة تعبئة السكر فى كوبا درسا مفيـدا ـ فقد كانت السفن تشحن بواسطة العمال والاجولة على ظهورهم وكانت تعبئة السفينة بالسكر تحتاج الى حوالى شهر ـ وعندما حاولت شركات السكر ميكنة العملية بالسيور الناقلة عطلها العمال لانهم يعرفون أن حياتهم تتوقف على تعطيل هذه السيور . ولكن عندما وسعت الحكومة الكوبية قطاعات الاقتصاد وضمنت عملا مجزيا لكل فرد فى كوبا سرعان ماتمت عملية تشغيل السيور المتحركة وصار تعبئة سفينة سكر الان تستغرق ٢٤ ساعة فقط .

موظف صغير يتحدى محافظ الدقهلية

قام موظف صغير بمجلس مدينة اجا محافظة الدقهلية ببناء مصنع لتكسير الحجر الجيرى وســط أرض زراعيــة مساحتها ٢٠٠ فدان مزروعة ..

كان المسئولون قد أصدروا قرارا بمنـع بناء المصـنع ، الا أن الموظف تحدى هذه القوانين تحت ستار علاقات خاصـة .

سـلاماً وتحية

لمـا أسـعار اللحمة ارتفعت ، زاد الاقبـال على أكل الفراخ لانها ـ مهما حصل ـ أهى أرخص من اللحمة وكمان اقبل المستهلكين على البيض .. ومن الطبيعى أن مزارع الدواجن بتنتشـر وتزيد وتكتر ، وكمان مزارع انتـاج البيض .. كان لازم يحصل تنسيق بين وزارة الزراعـة ووزارة التمـوين فى الحكاية دى ، علشان تقدر تثبت أسعار الفراخ للمستهلك ، وكمان البيض .. التنسيق ده مش موجود .. لان أصحاب مزارع الفراخ والبيض عاوزين ينتجوا للربح طبعا ، وعلشان يوفروا الحاجات دى للنـــاس .. نبص نلاقى وزارة التموين بتستورد فراخ مجمـدة ، فى الوقت اللى فراخ مصر فيه مش لاقية سوق .. تقوم تنزل أسعار كيلو الفراخ من ١٧٠ قرشا للكيلو الى ١٠٠ قرش للكيلو ، وفى ساعات ٩٠ قرشا .. وطبعا المزارع تخسر ، وبعضها يقفل وبعضها يتحول الى انتاج بيض ، بدلا من انتاج الفراخ .. يكتر البيض .. ينزل سعره ، والمزارع دى تخسـر وتخسر عنها تعدم ملايين من البيض ، لانه مافيش مشـترى ، خصوصا فى الصيف .. لو فيه تنسيق بين وزارة التموين ـ اللى مفروض يكون عندها بيـانات واحصـائيات عن احتياجات السوق للمستهلكين من البيض ، ومن الفراخ شهر بشهر ، وتنسق مع وزارة الزراعة ، ومع شركة الدواجن ، ان الانتـاج يكون بالتقريب ، موازى للاستهلاك ، وماتحصلش أزمات لا فوق ولا تحت .. ولا نلاقينى المزارع دى نازلة بالعربيـات اللورى بالميكروفونات فى كل حتة ، وفى القرى ، تدلل على بيع الفراخ .. وســاعات تدور على الفراخ ، تلاقيها زى ملح وداب .

كمان تنسـيق العمـل بين مزارع الدواجن وبين وزارة الزراعة عن توزيع الكتاكيت ، وتوزيع الاعلاف ، راح يؤدى الى تنظيم انتاج الفراخ .. مش اللى نلاقيه دلوقتى . ساعات العلف بيتباع فى السوق السوده .. لما المزارع تكون عاوزه علف ، ولما مايكونش فيه احتياج للعلف .. مش لاقى حد يشتريه .. وساعات سوء التنسيق يخللى المزارع تشترى الكتاكيت فى أسبوع واحـد ، ويحصل هجوم عليها ويحصل فيها أزمة .. وبعدين انتاج الفراخ بعد ٥٠ يوما مثلا ينزل السوق مرة واحدة ، وطبعاســعر الكيلو ينزل فى الحضيض .. وهكذا .. زى المراجيح بنوع الليلة الكبيرة .

الفلاحين فقدوا الثقة فى التنسيق ده ولازم نعيـد للفـلاحين الثقة دى والا الانتاج الزراعى يزيد تدهوره ونضطر نجيب من بره أكل أكتر وفلوس أكتر .. وربنا يجيب اللى فيه الخير .

م.ف

البطـاطا بـدل القطـن فى مركـز مطـوبس

امتنع الفلاحون فى مركـز مطوبس عن زراعـة القطـن وبدلا من القطن قاموا بزراعة محصول البطاطا ـ بقـول الفلاحون ان فدان البطاطا يغل لهم فى الزرعة الواحدة حوالى ٨٠٠ جنيه صافى ـ أما فدان القطن ـ مع هذه المصاريف الباهظة وارتفاع اجور العمال ـ فلا يغل للفلاح أى فـائض

• • •

اختفاء سيارات مشروع القرى بملوى

قام مجلس مدينة ملوى منذ ٤ سنوات بتخصيص أكثر من ٢٥ سيارة ميكروباس لنقل الركاب بين القرى والنجوع بالمدينة .. وبعد ثلاثة شهور فقط من بداية المشروع تم تكهين السيارات فى مبنى الصيانة بملوى .. علما بان المشروع تكلف أكثر من ١٠٠ ألف جنيه .

• • •

أعضاء مجلس محلى مركـز القنـاطر يرفض الرضوخ لامين الحزب

حاول أمين الحزب الوطنى بالقناطر الخيرية استمرار سيطرته ـ بعد أن علم باستبعاده من التشكيلات الجديدة للحزب ـ وذلك بترشيح شقيقه لرئاسة مجلس محلى مركز القناطر .. محاولا التأثير على الاعضاء ملوحا لهم بأنه صاحب الفضل فى وجودهم كاعضـاء بالمجلس .

رفض عشرون عضوا هذه المحاولات وانتخبوا وكيل المجلس القديم رئيسا للمجلس مقابل « ١٣ » عضوا أعطوا أصواتهم لشقيق الامين .

٢٠٪ أرباح توزعها المصرية للتقاوى

حققت الشركة المصرية لانتاج التقاوى ارباحا ادت الى امكانها توزيع ٢٠ فى المائة أرباح على رأس المال المدفوع .

• • •

وحدة صحية .. تتحول الى مقلب قمامة

اغلقت الوحدة الصـحية العلاجيـة « بابوش الحجر » دقهلية أبوابها منذ ثلاث سـنوات .

كانت وزارة الصحة قد تكلفت أكثر من نصف مليون جنيه لاقامة الوحـدة التى تحولت الان الى مقلب قمامة .

• • •

الى من يهمه الامر بمحافظة القليوبية

● قام سكان الشقة رقم ٢ بالعمارة رقم ١ بمساكن اللوكس بشبرا الخيمة بالاستيلاء على ٢٠٠ م من املاك الدولة وحولوها الى مكتب استيراد وتصدير وعشش للدواجن وسـتوان بلدى كما استولوا على البلاط الاسمنتى المخصص لمجلس المدينة وحفاظا على امـلاك الدولة من النهب .

هل يتحرك مجلس مدينـة شـبرا الخيمة ام سيظل ساكتا كعادته .

٨٥ ألف جنيـه .. أين ذهبت

وطريق ملوى ـ ديروط بدون رصيف !

منـذ ثـلاث سـنوات خصـصت مديرية الطـرق بمحافظة المنيـا مبلـغ ٨٥ ألف جنيه لرصـف الطريق الذى يربط بين مركز ملـوى وديروط الزراعى مارا بمدينة ديرمواس . وذلك لتخفيف الضغط عن طـريق مصـر أسـيوط . وحتى يمكـن مفاداة الحـوادث التى تقع على الطريق الرئيسى .

وحتى الآن لم يتم رصف الطريق ولا أى شروع لرصف الطريق . علما بأن الطريق الفرعى ملوى ديروط ممكن أن يخفف الضغط عن الطريق الرئيسى ويمنع الحـوادث التى تقع فى هـذه المنطقة على الطريق السريع .



يقدمه ! سيد عبد العاطى

قائد مذبحة الفيتـنامين مديرا للجنـة الأوليمبيـة الأمريكية

تم اختيار العميد طيار جورج ميللر الاسبوع الماضى فى ولاية فلوريدا الامريكية مديرا تنفيذيا للجنة الاوليمبية الامريكية .

كان جورج ميللر قد اغار ٢٠٠ مرة على مواقع الفيتناميين قبل تقاعده .

وميللر البالغ من العمر ٥٤ عاما . كان آخر منصب يشغله هو نائب القائد للقيادة الاستراتيجية للقوات الجـوية الامريكية وكان مسئولا عن تطـوير الدفاع النـووى واستمرت خدمتـه العسكرية ٢٥ سنة .

• • •

آخر موسم للاعبين الاجانب بمصر .

قرر اتحاد كرة القدم ان يكون الموسم القادم هو آخر مواســم اللاعـبين الاجانب فى انديتهم .

كانت قد تعاقدت كثـير من الفرق المصرية مع لاعـبين اجانب .. ممـا كان له الاثر السيىء على عدم اكتشاف لاعبين جدد للفريق القومى .

• • •

لقاء القمة يناير القادم ..

يلتقى النـاديان الكبيران الاهـلى والزمالك فى ختام الدور الاول لبطولة الدورى الممتاز يوم ٤ يناير القادم .

يسبق لقاء الناديين لقاءات دوليـة وديـة مـع بعض الفـرق الاوروبيـة المشـــهورة .

• • •

بايرون ميونيخ فى القاهرة

يلتقى كل من النادى الاهلى والنادى الزمالك بفريق بايرن ميونيخ الالمـانى فى مباراتان وديتـان يومى ١٩ ، ٢١ ديسمبر القادم باستاد القاهـرة .

مارادونا أحرز ٥٠٠ هدف

سجل مارادونا النجم العالمى الشهير والبالغ من العمر ٢٤ سنة فى مجموع المباريات الرسمية والودية التى لعبها ٥٠٠ هدف اى نصف العدد الذى سجله الجوهرة السوداء بيليه طوال حياته الكروية فى الستينات والسبعينات .

يقوم مارادونا بتدريبات مكثفة فى ناديه الجديد نابولى بايطاليا ..

• • •

مباريات الاسبوع القادم

يلتقى فى الاسبوع الخامس للدورى الممتاز فى الدور الاول ١٤ ناديا على النحو التالى :

غدا الجمعة على استاد القاهرة الزمالك ـ الاسماعيلى وتنقل المباراة على الهواء مباشرة .. بحكم المباراة محمد حسام يعاونه حسن عوض ـ عبد السلام النكرورى .

■ ويلتقى فى نفس اليوم باستاد المنصورة .. المنصورة ـ الترسـانة ويحكم اللقاء أحمـد ابو يوسـف . ويعاونه مصطفى النجار ـ عدلى حسان

■ السبت ١٠ نوفمبر على ستاد المقـاولون بالجبـــل الاخضر يلتقى المقاولون العرب ـ الاتحاد . ويحكم المباراة محسن لطفى يعاونه رمضـــان ا. ..ن ـ فتحى فريد .

■ الاحد ١١ نوفمبر بالمنيا يلتقى المنيا ـ الاهـلى تنقل المباراة على الهواء .. ويحكم اللقاء حسين مهاود يعاونه حسام عابدين ـ فؤاد اسماعيل

ويلتقى فى نفس اليوم بدمياط غزل دمياط ـ المحلة .. يحـكم المبـاراة فؤاد شفيق يعاونه صلاح العجمى ـ أحمد كامل .

■ الثلاثاء ١٣ نوفمبر باسـتاد القـاهرة الزمـالك ـ المصرى وتذاع المباراة على الهواء ويحكمها رفاعى سرور ويعاونه سعيد راشد ـ عزالدين يعقوب .

ويلتقى فى نفس اليوم بالاسكندرية الاوليمبى ـ الاسماعيلى يحكم المباراة حمدى عبد الرحمن ويعاونه عبـد السميع صالح ـ جمال عبد الرحمن .

مباراة تكريم مصطفى يونس

تقرر اقامة مبـاراة بين الاهلى والزمالك لتكريم مصطفى يونس لاعب مصر والاهلى ، وذلك بمناسبة اعتزاله .. لم يحدد بعد موعد اقامة المبـاراة وان كان من المنتظر ان تكون خـلال نوفمبر الحالى .. تضمن الاتفاق بين قطبى الكرة المصرية على اقامة مباراة أخرى بينهما لتكريم فاروق جعفر لاعب مصر والزمـالك الذى يفـكر جديا فى الاعتزال .

• • •

قرار سرى بتوقيع جزاءات على الحكام داخل الملاعب

اتخذت لجنة الحكام الرئيسية لكرة القدم قرارا سريا بتوقيع جزاءات على الحـكام الذين يتواجدون داخل الملعب فى المباريات دون أن يـكون لهم أى عمـل .

جاء القرار بعد ان تعرضت مجموعة من الحكام لشتائم قاسية من الجماهير اثناء جلوسهم يوم مباراة الترسـانة والمصـرى .



٣٠ لاعبـاً من ١٣ دولـة فى الـدورى الايطـالى

اشترت ايطاليا ٣٠ نجما من نجوم الكرة فى العالم ليلعبوا فى فرقها .. اهمهم مارادونا وشـوط وجـونبور ورومينجة وبلا كينى .

قرعة كأس العالم فى كرة القدم ديسمبر ٨٥

تم تحديد الملاعب التى ستقام عليها مباريات المجموعـــات الاربـــع فى التصفيات النهائية لكأس العـالم ٨٦ بالمكسيك فى الاجتماع الذى تـم فى زيورخ بين « جـــويليرمو كانيدو » رئيس لجنة تنظيم البطولة و « جواو هافيلانج » رئيس الاتحاد الدولى .. حيث تلعب ايطاليا « حاملة الكأس » فى المجموعة « أ » وتلعب المكسيك « الدولة المنظمة » فى المجموعة « ب » فى استاد ازتيك فى مكسيكو .

وتقرر ان تجرى قرعة المجموعات فى ١٥ ديسمبر ٨٥ وقد حددت اللجنة المنظمة عدد الصحفيين المرافقين وكذلك اسعار تذاكر المباريات من الان .

• • •

حكام نهائى أفريقيا للـدورى والكـاس

يحكم مباراة اهلى القاهرة واهلى طرابلس فى الدور النهائى لكاس اندية أبطال الكؤوس فى المباراة الاولى والتى ستقام فى القاهرة الحـكم المالى تراورى

اما فى المباراة الثانية والتى ستقام فى طرابلس الحكم المغربى لاوبى

كما يحكم مباراة الزمالك وشـوتنج ستارز النيجيرى فى اللقاء الاول بالقاهرة الحكم الجابونى ـ ديراميا

اما فى المباراة الثانية والتى ستقام فى نيجيريا فيحكمها الملاوى ـ كالومبو

عـادل المراغى ـ امين الحزب بشبرا الخيمة وعضو اللجنة العليـا للحـزب .

• • •

حفظ التحقيق فى قضـية الرشوة الايطالية فى كـأس العـالم

قرر قاضى مدينة روما الايطالية حفظ التحقيق فى قضية الرشـوة التى اثيرت بواسطة احدى المجلات الايطالية بعد انتهاء كأس العالم لكرة القدم فى ١٩٨٢ .. والتى اتهمت فيها المسئولين عن المنتخب بانهم دفعوا رشـوة لمنتخب الكاميرون حتى تنتهى المباراة بالتعادل وتصعد ايطاليا للادوار النهائية .

• • •

كلاى وفرايزر يعودان للملاكمة من أجـل الفقـراء

قرر البطل العالمى محمد على كلاى الاعداد لعقد من ... الملاكمة بين ابطال العالم الذين اعتزلوا مع ... امثال فرايزر وفورمان و ... على ان يخصص عائد هذه ... لصالح الفقراء والمعوقين والاطفـال اليتامى فى امريكا ..

كان قد صرح محمد على كلاى اثناء حضوره المؤتمر الاسلامى بالسودان فى الشهر الماضى .

من كل محافظة

أزمة تموين فى القنـاطر

المجمعات الاستهلاكية بقطاع القناطر الخيرية لم يصلها الحصص المخصصة لها طوال شهر اكتوبر ، تسبب ذلك فى حدوث أزمة فى اللحـوم والفراخ المستوردة ، المكرونة ، الطحينة .. وقلة المعروض من ، السكر ، الاسماك الحلاوة الطحينة .

عجز فى أطباء التخدير بالبحيرة

تعانى محافظة البحيرة من عجز شديد فى اطباء التخدير فى جميع المستشفيات المركزية .

اعترف وكيل وزارة الصحـة بذلك امام المجلس الشعبى المحلى لمحافظة البحيرة .

واعلن انه تم التنبيه على جميع مديرى الادارات الصحيـة بارسـال اطباء متميزين للتدريب على التخدير فى المستشفى العام .

آثر تاريخى .. يتحـول الى محل جزارة . . . .

اسـتولى أحد الجزارين المتجولين على السـبيل الاثرى الشـهير بمدينة طنطا وحوله الى حظيرة ماشية .

اكتشفت هيئة الاثار بطنطا ضـياع أبواب نحاسـية اثرية كانت خاصـة بالسبيل الاثرى .

ماذا يحدث على مسرح ثقافة سـوهاج

مدير المسرح .. يرتكب الأخطاء .. ثم يشكو المسرحيـة متوقفة .. والاعلان عنها مسـتمرة

سوهاج ـ محمد كريم

قطاع المسرح من اهم الانشطة التى تقدمها الثقافة الجماهيرية عبر قصور الثقافة المنتشرة فى المحافظـات .. وبالتالى فالاهتمام بالمسرح كبيــر وخاصة فى المحافظات التى تحـولت فرقتها المسرحية الى قومية .. وحتى ينجح المسرح فى تحقيق اهدافه لابـد ان تقوم على تضافر جهـود جميـع المشاركين فى العمل المسرحى .. لكن ما يحدث على مسرح ثقافة سوهاج والذى عرضت عليه مسرحية « رحلة الى الملك » لبضعة ايام ثم توقفت .. يعكس صورة مغايرة .. فماذا حدث ؟!

● يقول احد اعضـاء فرقـة سوهاج المسرحية القومية ان مـدير المسرح يفعل ما يشـاء دون ابـداء الاسباب .. فيضطهد من يشاء ويكافىء من يشاء .. كحصول والد احـدى العضوات على مكافأة لمجرد حضـوره يوميا مع ابنته .. كما حصل احـد العاملين بالسكة الحديد على مكافأته كاملة رغم عدم انتظامه فى البروفات.

وعلى الجانب الاخر نجد قطــاع الثقافة الجماهيرية يعلن فى الجرائد اليومية عن عرض المسرحية .. بالرغم من توقف المسرحية لسفر اعضــاء فرقة الفنون الشعبية المشتركـة فى المسرحية الى مرسى مطروح .





٩٠٠ أسرة بلا مجـمع .. اسـتهلاكى

منطقة التقسيم السـياحى بالقناطر الخيرية التى تسكنها حوالى « ٩٠٠ » اسرة فى ٤٠ عمارة سكنية .. ليس لها مجمع استهلاكى لخدمة هؤلاء المواطنين .. تعددت المكاتبات من مجلس المدينة والمجالس المحلية الى ادارة شركـة النيل للمجمعات لاسـتلام المكان المخصص لها باحـدى العمارات الحكومية لافتتاحه كمجمع استهلاكى .. ولكـن ادارة الشركة لم تكلف نفسها عناء الرد .. مضى عـلى هذا الوضـع حتى الان ١٨ شـهرا .

الوعود الانتخابية ذهبت مع الريح

يعـانى مواطنو أكثر من ٣٠ قرية بمركز شبين القناطر من عدم صـلاحية طريق الحرانية ـ شبين القناطر الترابى رغم حيويته البالغـة باعتباره المنفـذ الوحيـد .

نواب الحزب الوطنى كانوا قد وعدوا قبل نجاحهم أثنـاء الحملة الانتخابيـة لمجلس الشعب بادراج رصف الطـريق فى الخطة الحالية .

ماذا يجرى داخل امبراطورية السلخانة!

١٢ مليون جنيه تلقيها الحكومة في المجاري كل سنة!

مخلفات قيمتها ٢ مليون جنيه هدية من الحكومة للتجار

السلخانة . . أصبحت امبراطورية داخل القاهرة .. آلاف الدبائح ومئات الجزارين وعشرات البرك والمستنقعات داخل ١٥ فدانا فى قلب العاصمة .. أختلطت فيها اللحوم بالدماء والبرك وطفح المجارى بالروائح الكريهة المتعفنة القاتلة .

مخلفات الذبائح ثمنها اكثر من ١٢ مليون جنيه كل سنة تلقيها الحكومة فى بالوعات المجارى .

بل وتهدى الى التجار ٤ ملايين ـ حافر وقرن ـ مجانا يستغلونها فى صناعة الغراء .

ملايين الاطنان من الاسمدة العضوية ـ مخلفات الماشية ـ تلقى فى الجبال لا يستفيد بها أحد .

أحد الاطباء يقوم بعض الذبائح داخل السلخانة .

د . محمود عبد المجيد

د . ماهر دميان

د . مجدى عبد اللطيف

تحقيق :
جمال شوقى

● **السلخانة عمرها ١٣٠ سنة ـ انتهى عمرها الافتراضى من ٥٠ سنة وأصبحت لا تصلح اطلاقا كمكان يتم فيه ذبح مليون رأس كل سنة بل أصبحت تهدد بكارثة خطيرة على سكان القاهرة ..**

المسئولون بحى جنوب القاهرة يرفضون تنظيف السلخانة من اكوام القمامة والمستنقعات بحجة ان حصيلة رسوم الذبح تذهب الى خزينة المحافظة لا لخزينة الحى ..

والمحافظة أيضا ترفض بحجة انه [سوف] يتم نقل السلخانة الى المجزر الجديد بالبساتين .. والمجزر الجديد لا يصلح ـ كبديل للسلخانة ـ فالحكومة نسيت بناء العنبر الخاص [بسمط] الذبائح .. وشركة الاسمدة العضوية ترفض جمع مخلفات الذبح ، التى يبلغ ثمنها أكثر من ١٢ مليون جنيه بحجة عدم وجود عمال .. ولوائح السلخانة تحتم اعدام الذبائح الفاسدة بتركها فى الهواء لمدة ثلاثة أيام كاملة حتى تتعفن تماما ..

والنتيجة عشرات من المستنقعات ، والحفر واكوام القمامة ومخلفات الماشية والروائح القذرة القاتلة ... حتى أصبحت السلخانة مكانا للاوبئة والامراض بل وتهدد بكارثة صحية خطيرة على سكان القاهرة ..

.. كل هذا وعمال السلخانة يتقاضون ٣ قروش يوميا كبدل عدوى ..

الحكاية من البداية ....

■■ فما هى حكاية السلخانة هذه .. وماذا يدور داخل أقدم سلخانة فى العالم ؟ .

● فى عام ١٨٥٥ صدر [illegible] خديوى بانشاء السلخانة على مساحة ١٥ فدانا فى أطراف القاهرة ـ وقتها ـ كان عدد سكان القاهرة [illegible] مواطن فقط ..

.. وبمرور السنوات [illegible] العمرانى أصبحت السلخانة فى وسط القاهرة ، مما عرض المواطنين [illegible] الامراض نتيجة الروائح المتعفنة .

وحينما انتقلت ـ منذ سنوات عديدة ـ مسئولية السلخانة من وزارة الزراعة الى محافظة القاهرة بدأت المشاكل تتزايد وتتفاقم حتى أصبحت [illegible] .. فايراد رسوم الذبح [illegible] مليون جنيه سنويا يذهب الى خزانة محافظة القاهرة .. ومجلس حى جنوب القاهرة يرفض القيام [illegible] السلخانة وازالة المخلفات [illegible] الى خزينته ..

والمسئولون بالسلخانة حائرون بين المحافظة والحى .. والنتيجة [illegible] القمامة ومستنقعات من المجارى [illegible] بالذبائح داخل السلخانة .. [illegible] ما يحدث أن تنقلب عربات اللحوم داخل هذه المستنقعات .. [illegible] اعدامها ..

عجائب السلخانة ....

ومن عجائب امبراطورية السلخانة [مخلفات الذبائح] والتى تنقسم الى ثلاثة أنواع : الدم ـ مخلفات الماشية قبل الذبح ـ ومخلفات مابعد الذبح .

فالدم الذى يعتبر بعد تجفيفه ـ من أجود أنواع الاعلاف ويباع الطن بـ ٣٥ جنيها ـ يذهب الى المجارى .

فشركة الاسمدة العضوية ترفض [أخذ] كميات الدم والتى تبلغ [illegible] سنويا ، ثمنها أكثر من ١٤ مليون جنيه بحجة عدم وجود عمال ـ وحتى عندما تحركت مؤخرا وبعد الحاح [illegible] من المسئولين بالسلخانة لجمعها ـ أرسلت ثلاثة من العاملات ـ للقيام بجمع [illegible] فى المائة فقط من كميات الدم [illegible] وثمنه أكثر من ١٢ مليون جنيه تذهب الى بالوعات المجارى ..

ومخلفات الماشية قبل الذبح [illegible] عدة ملايين من الاطنان سنويا [illegible] من أحسن أنواع الاسمدة العضوية : والتى لا غنى للاراضى الزراعية عنها ـ لا تجد محافظة القاهرة [مالكة هذه المخلفات بحكم القانون] مكانا مناسبا لاستغلالها الا بالقائها فى الجبال [illegible] وذلك رغم النقص الشديد الذى تواجهه البلاد فى الاسمدة والذى يجعلها تستورد [illegible] من الخارج بملايين الجنيهات .

وحافر [واصداء الذبائح تهديها محافظة القاهرة مجانا الى التجار ـ والتى يبلغ ثمنها اكثر من ٢ مليون جنيه ـ تبيعها التجار الى اصحاب مصانع الغراء .

قوانين قديمة .....

ومن عجائب امبراطورية السلخانة أيضا ان القوانين [illegible] منذ ١٣٠ سنة [illegible]

[illegible]

دولة من دول العالم ، ومبانى السلخانة أصبحت [illegible] من فترة لاخرى بنهيار جزء منها ..

مع مدير السلخانة ....

■■ التقت [الاحرار] بـ د. محمود عبد المجيد العمرانى مدير السلخانة

الذى قال : من أهم المشاكل التى [illegible]

[illegible]

الذبائح تتم فى السلخانة لكل ما يذبح فى المجزر الجديد ، ثم يتم [illegible] بعد فى العنبر الخاص بالسمط ..

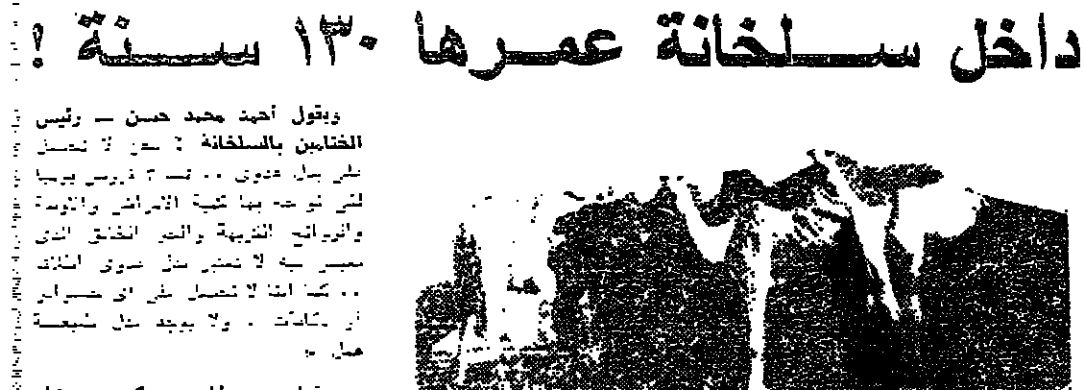
■ سألت مدير السلخانة .. ما السبب فى الروائح الكريهة التى تنبعث من السلخانة وتصيب معظم سكان المنطقة بأبشع الامراض ؟ .

ــ قال : هناك عدة أسباب [illegible]

[illegible] بالمطلوب أن يبدأ [مشروع اختبارات السل] الى جميع المحافظات ، الذى يقوم بالكشف على الماشية فى أماكن تجمعاتها والكشف على مرض السل فى كل منها ومن يثبت اصابته يعدم فورا .. وعندما يتم التخلص من هذا المرض اللعين .. لكن للاسف لا توجد احصائية دقيقة بعدد الماشية على مستوى الجمهورية ..

ويضيف مدير المجزر قائلا : ومن أهم المشاكل التى تواجه العاملين فى السلخانة مشكلة عدم وجود عمارة واحدة لنقل الاطباء والبيطريين والمطلوب [illegible]

٢٦ طبيبا .. ومليون رأس ماشية .. داخل سلخانة عمرها ١٣٠ سنة !





ــ ويقول د. ماهر دميان عبد الله طبيب بالسلخانة :

المشكلة الاولى : فى السلخانة فى الجزار .. [illegible] والدم [illegible] وتسمح بدخول الجزارين اثناء الكشف .. فاذا قررنا اعدام الماشية تدخل فى مسائل لا حصر لها ومناقشات حادة تعطلنا عن أداء عملنا الاصلى .. كما أن مخلفات الذبائح أصبحت لا تطاق وتهدد بوباء فى السلخانة .. وهى مشكلة لا حل لها .. فالمطلوب تدخل حاسم من كافة المسئولين بالدولة لحماية أهم مرفق صحى فى الجمهورية من كارثة خطيرة ..

ويقول زميله د. مجدى عبد اللطيف :

المجزر أصبح لا يصلح استعماله [illegible] بسبب القذارة [illegible] الموجودة داخله والتى يمكن أن تصيب سكان القاهرة جميعا بمصائب لا حصر لها .

كما أن العاملين بالمجزر لا يحصلون على أى حوافز أو مكافآت فى ظل هذه الظروف اللاانسانية والصعبة فلا أقل من أن يتم مساواتهم بزملائهم فى المجزر الالى الحديث ..

أين الحوافز

ويقول أحمد محمد حسن ـ رئيس [الختامين] بالسلخانة : [illegible] على بدل عدوى .. [illegible] ٣ قروش يوميا [illegible] الامراض والاوبئة والروائح الكريهة [illegible] .. كما أننا لا نحصل على أى حوافز أو مكافآت .. ولا يوجد [illegible]

ويقول سيد الموسكى ـ جزار بالسلخانة : الحفر والمستنقعات الموجودة داخل السلخانة [illegible] عشرة سنتيمترات .. [illegible] برحمونا من هذه الاوبئة الموجودة داخل السلخانة .

■ السؤال الان من المسئول عن ضياع ١٢ مليون جنيه كل عام فى المجارى ؟ .. والى متى سنظل نلقى بملايين الاطنان من الاسمدة فى الجبال ؟ .

■ وهل ستترك الحكومة أهم موقع صحى فى الجمهورية عرضة لللاز المشاكل التى تهدد بكارثة صحية خطيرة ؟ . وهل تتحرك الحكومة .. لمنع هذه الكارثة ؟ ..

التكامل الزراعى العربى ضرورة ملحة

■ اختلف العلماء حول أول مكان اكتشاف للزراعة قال البعض ان الاكتشاف بدأ من بابل بالقطر العراقى حيث زرع السومريون القمح والشعير على سفوح التلال ، وفريق اخر يقول ان اكتشاف الانسان للزراعة بدأ فى سهول أريحا .. بالاردن ومنهم من يقول فى الهند وفى وادى النيل فى مركز البدارى باسيوط وكوم امبو باسوان .. وان كان الرأى الاخير أكده علماء الاثار فقد أكدوا أن الاكتشاف كان بوادى النيل وأن الفلاح المصرى هو أول فلاح فى العالم عرف الاستقرار الزراعى .

والمؤكد أن اكتشاف الزراعة بدأ فى الوطن العربى سواء فى بابل أو أريحا .. أو وادى النيل .. واذا قلنا الفلاحة أو الزراعة .. فقد قلنا الحضارة .. والزراعة كانت ومازالت أهم معارك الانسان المسيطرة على الطبيعة ، وروعة انتصاراته منذ وجد على الارض حتى اليوم .. والفلاح هو صانع الحضارة على الارض .. ولاشك ان وطننا العربى يملك كل مقومات [illegible]

١٩٨٠ مقابل زيادة فى الاراضى الجديدة مقدارها ٩١٠٠٠ فدان سنويا خلال نفس الفترة ، علاوة على أن معدل النمو فى الانتاج الزراعى ظل محصورا بين ٥ر١٪ للانتاج النباتى ، ٨ر٢٪ للانتاج الحيوانى مما يتطلب زيادة استيرادنا من احتياجاتنا الغذائية واتساع الفجوة الغذائية بين الانتاج والاستهلاك .. ولا شك أن غالبية الاقطار العربية تستورد غالبية [illegible]

[illegible]

مطلوب من وزير البترول تصحيح الوضع

بقلم :
عمرو كمال حموده

هذا الشهر تطرح الهيئة المصرية العامة للبترول مزايدتها السنوية لبيع البترول المصرى بانواعه السنة .. وعن طريق هذه المزايدة تحصل الحكومة المصرية على دخل صافى تقدر بحوالى ٢ مليار دولار .

● ● وتحتل المزايدة السنوية هذا العام مكانة خاصة لدى الرأى العام ولعدة أسباب :

١ ـ اعلان الحكومة الحالية فى بيانها أمام مجلس الشعب فى شهر سبتمبر الماضى : « ان معدل استهلاك [illegible]

[illegible]

الى عدة مجموعات : منها مجموعة الشركات البترولية العملاقة مثل : اكسون وشل وموبيل .. ومنها مجموعة الشركات التجارية المتخصصة ذات الحجم الكبير .. ومنها الشركات التجارية المتوسطة .. ومنها مجموعة معامل التكرير .. ثم مجموعة الشركات البترولية التجارية الصغيرة .. ثم مجموعة الشركات الاسرائيلية « باز أويل ودليك وسونول » التى ترفع الكميات المتفق عليها فى أحكام معاهدة السلام .

وهذا التقسيم من الناحية المنطقية .. سليم .. ولكن الواقع لا يقول ذلك .. فان هيئة البترول المصرية توجه جل اهتمامها بالشركات التجارية [illegible]

[illegible]

٧ آلاف بائع ثلج فى القاهرة يصرخون :

هامش الربح لم يتغير من ٥٠ سنة

٧ آلاف بائع ثلج بالقاهرة الكبرى مظلومين ومهددين بتشريد اولادهم وغلق محلاتهم .. والسبب ان المسئولين وزارة التموين يضعون تسعيرة الثلج بدون دراسة .

وان ارتفاع سعر الثلج لصالح التاجر والشركات فقط قبل من [illegible]

[illegible]

حيث ان البائع يأخذ البلاطة بـ ٤٠ مليما يبيعها للمستهلك ٦٠ مليما ـ أى ان البائع يربح فى كل بلاطة قرشين ـ ورغم ارتفاع اسعار جميع السلع وارتفاع الاجور لجميع العمال .. الا ان هامش الربح لبائع التجزئة لم يتغير منذ ٥٠ سنة حتى الان ومازال كما هو قرشين فهل من المعقول ان يصل ثمن البلاطة من ٤ قروش الى ٢٥ قرشا وهامش الربح للبائع ثابت ؟ وهل من المنطق أو المعقول ان بائع الثلج مازال يعيش فى زمن ماقبل الثورة .

٥ ـ ٥ ـ ٥

وفد عمالى مصرى .... يزور الاردن .....

وفد عمالى مصرى سيقوم بزيارة للاردن برئاسة « مختار عبد الحميد » رئيس لجنة القوى العاملة بمجلس الشعب .

سيبحث الوفد مدى تعميق أوجه العلاقات الثنائية بين اتحاد عمال مصر واتحاد عمال الاردن بعد عودة العلاقات بين البلدين .

ستجرى مباحثات حول الاعداد لعقد المجلس التنفيذى للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب .

٥ ـ ٥ ـ ٥

خلاف بين الضرائب .. ونقابة النقل البرى ...

رفعت مصلحة الضرائب تحصيل الضرائب المستحقة على سيارات الاجرة والسرفيس ـ كما اقترحها اللجنة النقابية للعاملين بالنقل البرى بمحافظة القاهرة والتى اقترحها النقابة العامة للعاملين بالنقل البرى برئاسة محمد احمد العقيلى .

سبب الرفض أن النقابة العامة لم تأخذ برأى مصلحة الضرائب فى ذلك .

٥ ـ ٥ ـ ٥

٥٠٠ جنيه زيادة ..... فى أسعار سيارات اللادا

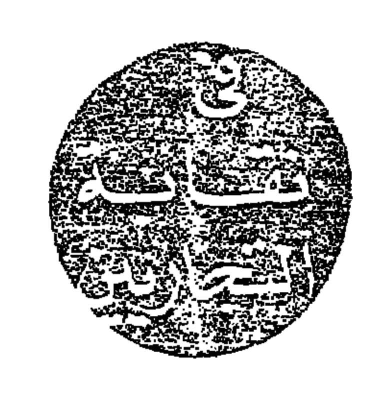
رفعت شركة الاعمال الهندسية أسعار السيارات « اللادا » بنسبة ٥٠٠ جنيه لكل سيارة ..

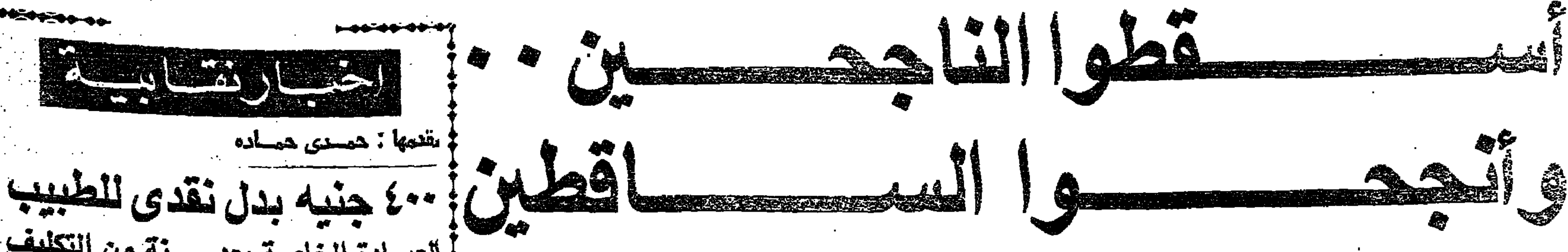
سبق أن رفعت الشركة فى أول يناير الماضى أسعار السيارات بنسب تتراوح مابين ٤٠٠ ـ ١٠٠٠ جنيه لكل

من المتوقع زيادة أسعار السيارات مرة أخرى بعد رفع القيمة المحاسبية للدولار من ٤٠ قرشا الى ٨٤ قرشا .

هكذا من الاصل

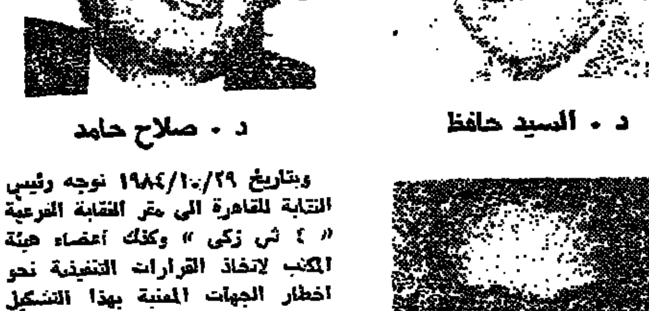
هكذا من الاصل





أسقطوا الناجحين .. وأنجحوا الساقطين

.. سبق وأن أجريت انتخابات نقابة التجاريين الفرعية في ١٩٨٤/٥/١٨ لانتخاب « النقيب » والتجديد العضوي لمجلس النقابة الفرعية التي تضم قرابة ١٠٠ ألف من التجاريين وهو يماثل نصف العدد الكلي لاعضاء نقابة التجاريين .. وفاز في هذه الانتخابات : الدكتور السيد حافظ عبد الرحمن .. نقيبا .. وفاز عن الاعضاء لاكثر من ١٥ عاما محمد ياسين الكاتب - محمد على بدران - محمد ماجد حمزة .. وفاز أيضا اللواء فاروق الصاوي - وحامد حافظ قمر - وعبد الحميد حسين .. ورغم الاعلان عن فوز الاسماء السابقة .. تدخلت النقابة العامة .. ولاول مرة في تاريخ الانتخابات يلزم أن يكون الفوز حسب انتماء الاعضاء للشعب .. وليس على حسب الحصول على الاصوات .. مهددة بذلك حرية الاختيار الحر لكل ناخب ويرغب في ترشيحه ممن يتقدم لشغل الموقع النقابي .





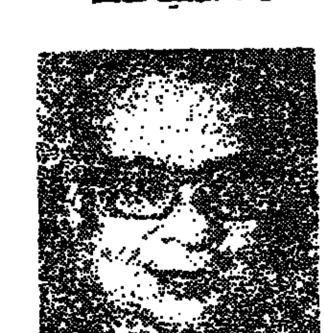
د . صلاح حامد

د . السيد حافظ











عبد الرزاق عبد المجيد

وبذلك قررت النقابة العامة اختيار عضو عن الاكثر من ١٥ عاما .. والاخر عن الاقل من ١٥ سنة .. وترتب على ذلك انه تم اختيار عضو حاصل على ٢٢٢ صوتا بدلا من العضو المنتخب الحاصل على ٥٨٧ صوتا « وهو محمد ماجد حمزة » .. واختاروا عضوا حصل على ١٩٢ صوتا بدلا من العضو الحاصل على ٦١٥ صوتا وهو اللواء فاروق الصاوي والغريب في الامر أن يبرر مسئولو النقابة العامة خطاهم بالنسبة لتفضيلهم للحاصلين على الاصوات الادنى بحجة أن الحاصلين على الاصوات الاقل أحدهما يمثل شعبة الاقتصاد والاخر يمثل شعبة التأمين بالرغم من أن الشعبتين لاوجود لهما في النقابة الفرعية للقاهرة .

تجاوزات صارخة

وحتى تضفي النقابة العامة صفة الشرعية على ما حدث من تجاوزات صارخة لقانون الانتخاب عقدت جلسة بتاريخ ١٩٨٤/٩/٢٣ .. أي بعد اجراء الانتخابات بـ ٥ شهور وقامت باعلان نقيب النقابة الفرعية بذلك كما أعلنت وزير المالية بذلك أيضا .

وكانت المفاجأة غير المتوقعة حيث رد وزير المالية بأن جلسة مجلس النقابة العامة المنعقدة بتاريخ ١٩٨٤/٩/٢٣ والقرارات التي اتخذت تعتبر (باطلة) حيث أن رئاسة هذه الجلسة مختلف عليها قضائيا ولم يصدر القضاء حكمه حتى تاريخه حيث أن منصب « نقيب التجاريين » مازال في انتظار الحكم القضائي الخاص بالنزاع عليه : وبالتالي فان قرار مجلس النقابة العامة بشأن « اسقاط » عضوين ناجحين .. وانجاح عضوين في آخر القائمة ليس من حقهما أن يكونا أعضاء في مجلس النقابة الفرعية بالقاهرة .

قرار الجمعية العمومية

وأدى ذلك الى أن الدكتور السيد حافظ عبد الرحيم رئيس النقابة الفرعية بالقاهرة قام بارسال رسالة الى أمين عام النقابة العامة للتجاريين يخبره فيها بأن ما اتخذه مجلس النقابة العامة من ناحية يعتبر مخلا لما اتخذته الجمعية العمومية التي هي أعلى سلطة في التشكيل النقابي وانه ليست لاي سلطة

مهما كانت سواء كانت « لجنة الانتخابات » أو هيئة مجلس النقابة الحق في تغيير أو تعديل ما أسفرت عنه نتائج الانتخابات وما عبرت عنه الجمعية العمومية للناخبين ..

وبناء عليه فانه ملتزم التزاما صارخا بالنتيجة التي أفرزتها الجمعية العمومية بحذافيرها دون تغيير أي تبديل .

وفي ١٩٨٤/١٠/٢٨ عقد مجلس النقابة الفرعية اجتماعه وبالنصاب القانوني المقيد في الدفاتر وتم تشكيل هيئة مكتب مجلس النقابة الفرعية الذي يتشكل من :

١ — الدكتور السيد حافظ عبد الرحمن « نقيبا » .

٢ — محمد ياسين الكاتب « وكيلا » .

٣ — محمد على بدران « أمينا عاما » .

٤ — اللواء فاروق الصاوي « أمينا للصندوق » .

٥ — نجاة عبد الرحمن سالم « أمينا عاما مساعدا » .

وبتاريخ ١٩٨٤/١٠/٢٩ توجه رئيس النقابة للقاهرة الى مقر النقابة الفرعية « ٤ ش زكي » وكذلك أعضاء هيئة المكتب لاتخاذ القرارات التنفيذية نحو اخطار الجهات المعنية بهذا التشكيل الا أنهم فوجئوا بأن المدير الاداري للنقابة الفرعية قد قام « بتسليم خاتم شعار النقابة » والدفاتر الهامة الى وكيل النقابة السابق وذلك على الرغم من تنبيه النقيب المنتخب له بعد انتهاء جلسة النقابة الفرعية بالا يتصرف في أي عهدة الا باذن كتابي منه .. وعلى الفور قام « نقيب القاهرة » ووكيل النقابة بتقديم بلاغ الى قسم شرطة الازبكية وقيد تحت رقم ٤١٢٠ لسنة ١٩٨٤ « اداري » .

وبتاريخ « ١٩٨٤/١٠/٣٠ » نشرت جريدة الجمهورية وجريدة الاهرام في طبعتهما الاولى تشكيل مجلس النقابة الفرعية القاهرة على النحو الموضح سابقا والذي يتمشى مع الحقيقة والواقع

وقد علمت أيضا أن الدكتور السيد حافظ عبد الرحمن نقيب التجاريين لنقابة القاهرة قد أبلغ المستشار ماهر الصفدي والمحامي العام لنيابة شمال القاهرة بتفاصيل هذا الموضوع المثير.

والان هل من وقفة جادة وحاسمة ضد الامور الباطلة التي يحاول البعض ان يسبغ عليها الصفة القانونية البعيدة عن الحق والباطل .. خصوصا وانني علمت ان هناك شخصية كانت تتولى منصب سياسي هام هي التي وراء ذلك .. فهل نترك الحبل على الغارب لمن يحاول اغتيال الحقوق بصورة تتنافى مع ابسط قواعد الحق والعدل .. وهل يعقل ان تسمح باسقاط الناجحين وانجاح الراسبين .. مطلوب حسم الامور .



يقدمه :
لطفي عبد اللطيف

غلاية الطلاب المستجدون بجامعة الأزهر

[illegible]

لفت نظر من مجلس الكلية لعميد الكلية السابق

[illegible]

خناقة بين أساتذة الآداب لهروب الطلبة من بعض الأقسام

[illegible] خناقة بين أساتذة اقسام اللغات الشرقية بكلية آداب عين شمس بسبب هروب أكثر من ١٢٠ من قسمي اللغة الفارسية واللغة التركية الى قسم اللغة العبرية .

كانت الاقسام الثلاثة مندمجة تحت اسم قسم اللغات الشرقية حتى العام الماضي . وبدأ انفصالها ابتداء من العام الحالي فقط بحيث يختار طالب السنة الاولى قسما محددا . وقد لاحظ أعضاء هيئة تدريس قسمي الفارسي والتركي أن الطلبة يهربون منهما الى قسم اللغة العبرية . [illegible]

[illegible]

الطلاب في انتظار الوجبات الجافة والمطهية

قام الدكتور ناجي شتلة وزير التموين بافتتاح المطعم الخارجي بجامعة عين شمس .. الذي يقوم بتقديم الوجبات الطازجة . الجافة للطلاب مقابل عشرة قروش للطازجة وخمسة قروش للجافة

طلاب جامعة القاهرة في انتظار وزير التموين لافتتاح المطعم الخارجي .. وفي جامعة المنوفية صرح محمود السروجي مدير ادارة المدن الجامعية انه سيتم تقديم الوجبات الجافة والطازجة للطلاب ابتداء من الاسبوع الاخير من الشهر الحالي بمعدل ٣٠٠٠ وجبة طازجة و ٢٥٠٠ وجبة مطهية .

●●●

مطلوب عبقري لتوزيع دعم الكتاب الجامعي

بعد ان ثبت فشل توزيع دعم الكتاب الجامعي للطلاب — بجامعة القاهرة — عن طريق « البونات » التي كانت تصرف للطلاب في العام الماضي ... يجري المسئولون في الجامعة حاليا عن طريقة جديدة لتوزيع الدعم بدلا من توزيعه نقدا على الطلاب .

بالمناسبة الطلاب يريدون الدعم نقدا .. ممن يوفق بين المسئولين والطلبة ويبتكر لنا طريقة جديدة عبقرية لتوزيع دعم الكتاب .

●●●

مسابقة دينية بمناسبة المولد النبوي الشريف

[illegible]

لجنة المناقشة تختلف حول تقييم رسالة دكتوراه ومجلس القسم يحسم الموقف

[illegible]

حملة التبرع بالدم مقابل خمسة جنيهات وعلبة عصير

بدأت بنوك الدم حملتها داخل الجامعات لحث الطلاب على التبرع بالدم مقابل خمسة جنيهات وعلبة عصير لكل طالب .. تقوم جمعيات اصدقاء المرضى في الكليات بحث الطلاب على التبرع ..

اخبار نقابية

يقدمها : حمدي حماده

٤٠٠ جنيه بدل نقدي للطبيب العيادة الخاصة بعد سنة من التكليف

ناقشت نقابة الاطباء في اجتماعها برئاسة الدكتور — ممدوح جبر — مشاكل الاطباء وكيفية علاجهم واحياء عملية مساعدة النقابات الفرعية ماديا .

وصرح الدكتور — عبد المنعم أبو الفتوح — سكرتير عام مساعد نقابة الاطباء بأنه تقرر صرف البدل النقدي لاطباء وزارة الصحة بحد أقصى ٤٠٠ جنيه وتوفير السكن المناسب واللائق للطبيب داخل المستشفى .

كما تقرر صرف بدل الغذاء لكل طبيب بالمستشفى واتاحة الفرصة للاطباء المقيمين بالاشتراك في العلاج الاقتصادي ..

وبالنسبة لاطباء الريف تقرر مزاولة العلاج الاقتصادي في غير أوقات العمل الرسمية والموافقة على فتح عيادة خاصة بعد السنة الاولى من التكليف .

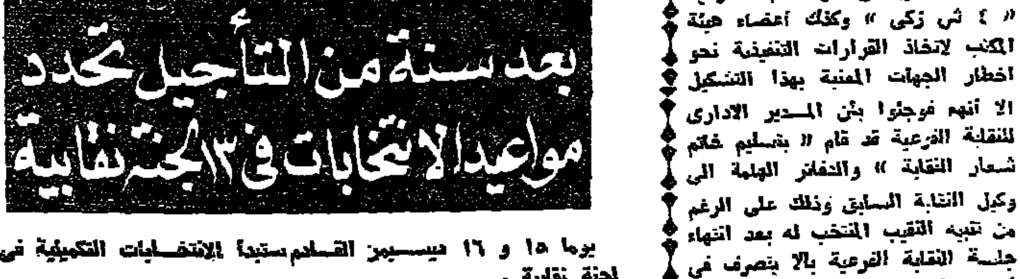
وأضاف الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح بأن مجلس النقابة يجري مشاورات جادة للتعجيل بانشاء — مستشفى الاطباء — اسوة بمستشفيات النقابات المهنية الاخرى .

وكان من المقرر أن يحضر الدكتور — صبري زكي — وزير الصحة هذا الاجتماع ولكنه لم يحضر ولم يعتذر .

د . عبد المنعم ابو الفتوح

من حق أي طبيب

شباب الاطباء يرغبون في السماح لكل من يرغب التسجيل في نيل شهادة تخصص دون استثناء بالنسبة للتقدم للماجستير ويطالبون بالا تكون هناك تفرقة بين طبيب من الجامعة وآخر من وزارة الصحة أو الجيش .. فهل ستلبى مطالبهم



بعد سنة من التأجيل تحدد مواعيد الانتخابات في ١٣ لجنة نقابية

يوما ١٥ و ١٦ ديسمبر القادم ستبدأ الانتخابات التكميلية في ١٤ لجنة نقابية ..

من المعروف أن هذه اللجان النقابية لم تجر فيها الانتخابات في العام الماضي .. ولذلك أصدر وزير القوى العاملة قرارا بذلك ..

وسوف يفتح باب الترشيح يومي ١٠ و ١١ نوفمبر الحالي .. وستعلن أسماء المرشحين يوم ١٢ نوفمبر .. وستقدم الطعون ويتم البت فيها يومي ١٣ و ١٤ نوفمبر ..

ولكن يتساءل النقابيون عن مغزى عرض أسماء المرشحين على المدعي الاشتراكي لمدة ثلاثين يوما .. ثم بعد ذلك تجري الانتخابات ..

وتتساءل القيادات العمالية .. ألا يعتبر ذلك تدخلا في مسيرة الحركة النقابية العمالية الوطنية والتي تعبر عن تطلعات غالبية عمال مصر !

●●●

منطق غريب

اصدر — المحامي العام لمنطقة جنوب القاهرة تعليمات مشددة الى محاكم الاحوال الشخصية بعدم السماح للاخصائيين الاجتماعيين الذين يعملون بمكاتب التوجيه الاسري بالاطلاع على الحالات الاجتماعية .

الاخصائيون الاجتماعيون كانوا يحصلون من المحاكم على البيانات التي تتعلق باطراف النزاع في قضايا الاحوال الشخصية .

هذا القرار حال دون تمكن — الاخصائيين الاجتماعيين من العمل حيث كانوا يفضون النزاعات الزوجية بالطرق الودية !

فلمصلحة من يصدر مثل هذا [illegible] خصوصا وان كل مكتب توجيه اسري مخصص له ٤٠٠٠ جنيه سنويا [illegible] الغرض ..

●●●

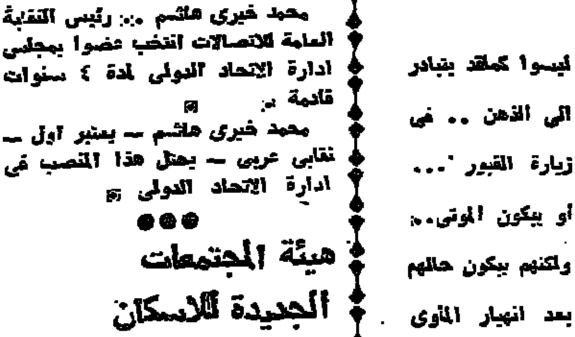
استغاثة من العاملين بهيئة البريد

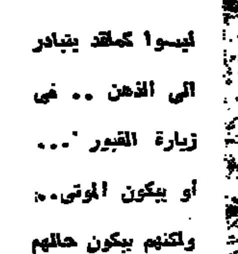
العاملون بهيئة البريد يستغيثون — بمسئولي البريد لحل مشاكلهم .. حيث انهم محرومون من صرف البدلات — والمكافآت التي تتناسب مع طبيعة عملهم المرهق .. لانهم يتقاضون بدلا يوميا — عن حمل — الحقيبة البريدية يقدر بـ ١٠ قروش فقط .. فهل هذا المبلغ يتناسب مع ما يبذلونه من جهد .. ؟

●●●

أين معاشات الاخصائيين الاجتماعيين

يتساءل الاخصائيون الاجتماعيون عن عدم صرف المعاشات [illegible] اسوة بما هو متبع في جميع النقابات .. خصوصا وانه قد مضى على النقابة ١٠ سنوات .. فمتى سيتم صرف هذه المعاشات ؟





تقليد جديد لاول مرة

● اجتمع مجلس نقابة الزراعيين بفرع النقابة في طنطا .. وشهدت الاجتماع الشهري للمجلس مرة بالقاهرة بالوجه البحري .. استن مجلس النقابة هذا التقليد الجديد حيث تقرر عقد الاجتماع الشهري للمجلس مرة بالقاهرة ومرة باحد فروع النقابة بالمحافظة ..

وصرح — عبد الرازق بدوي — سكرتير عام نقابة الزراعيين بأن الزراعيين ناقشوا قضايا المهنة خصوصا بالنسبة لبدل التفرغ ومشاركة النقابة في المشروعات الاستثمارية وتكوين — جمعيات استصلاح الاراضي ..

●-●-●

المساواة في الظلم عدل

هل يعقل ان تحصل نقابة الزراعيين على اعانة مالية لاتتجاوز ٤٠٠٠ جنيه منذ عام ١٩٤٨ لمختلف انشطتها سواء كان صرف معاشات واعانات وانشطة متنوعة لاعضاء يتجاوز عددهم ١٥٠ الفا .. في حين تصرف نقابات اخرى مبالغ تتعدى الـ ٢٠٠ الف جنية ..

●●●

أول نقابي عربي في الاتحاد الدولي للاتصالات

محمد خيري هاشم .. رئيس النقابة العامة للاتصالات انتخب عضوا بمجلس ادارة الاتحاد الدولي لمدة ٤ سنوات قادمة ..

محمد خيري هاشم — يعتبر اول — نقابي عربي — يحتل هذا المنصب في ادارة الاتحاد الدولي ..

●●●

هيئة المجتمعات الجديدة للاسكان تتجاهل النقابيين

القيادات النقابية في الجمعيات الاسكانية احتارت من تسويفات هيئة المجتمعات الجديدة للاسكان .. حيث سبق واعلن منذ بضعة شهور عن — انشاء مدينة سكنية — عند الكيلو ٤٥ بطريق مصر — السويس واطلق عليها مدينة — بدر ..

الجمعيات التعاونية الاسكانية تقدمت لحجز الاراضي بهذه المدينة .. ولكن حتى الان لم يتم فتح باب الحجز .

من يوقف هذه المهزلة ؟

العاملون بشركة — سيماف — لمهمات السكك الحديدية يعانون الامرين .. الارباح التي كانوا يتقاضونها تتناقص باستمرار .

الانتاج متوقف في الشركة لظروف خارجة عن ارادة العمال .. والسبب .. هيئة السكك الحديدية لانها لا تتعامل مع الشركة على أسس خطط محددة !

اعتادت هيئة السكك الحديدية على مفاجأة الشركة بطلبياتها .. ثم تفاجأ الشركة مرة أخرى بالغاء الهيئة لطلبيات التي تعاقدت عليها ..

ومما يذكر أن الهيئة كانت قد تعاقدت على انتاج ١٢٠ عربة مكيفة والغت تعاقدها السابق الخاص بالعربات الدرجة الثالثة التي تزيد قيمتها عن ٣ ملايين جنيه ..

ترتب على ذلك عدم حصول العمال على حوافز الانتاج التي تتراوح بين ١٠٠٪ : ١٥٠٪ فضلا عن عدم استغلال انتاج آلاف العمال .

الغريب في الامر أن الهيئة القومية للسكك الحديدية تشجع الانتاج الاجنبي وتهمل توعية الانتاج المصري .. والدليل أن الهيئة تعاقدت على شراء ١٠٠ عربة ركاب من — رومانيا — دون أن تعطي لمحاولات [illegible] دون اتمام الصفقة مما أسفر عن خسائر [illegible]

فعلى من تقع المسئولية ؟

كاميرا الأحرار

الصيف انتهى ... كل سنة وانتم طيبون .. لا تظنوا انها صورة بلاج خلا من رواده .. ولكنها المجاري في امبابة حولت الشوارع الى بحر

ليسوا كما قد يتبادر الى الذهن .. في زيارة القبور ... أو يبكون الموتى .. ولكنهم يبكون حالهم بعد انهيار المأوى على رؤوسهم ...

نزهة الحمار الثالث .. هل لنا حل ؟ .. ألا يكفي « الجوز حمير » لجر العربة .. الحمار الزائد صورة للبطالة المقنعة في المجتمع الحيواني .

السهل الممتنع .. في احدث الاحياء السكنية .. فكرة تمخضت عنها عبقرية بعض المسئولين للجمع بين « قاذورات القمامة » ، وملاهي الاطفال وفرع المجمع الاستهلاكي .

طبعا لا يمكن أن يتحقق « الانضباط » مع هذه الصورة التي اختلط فيها الحابل بالنابل .. شكل العمارات السكنية يقول انها منطقة حديثة .. أي من جيل الانضباط .





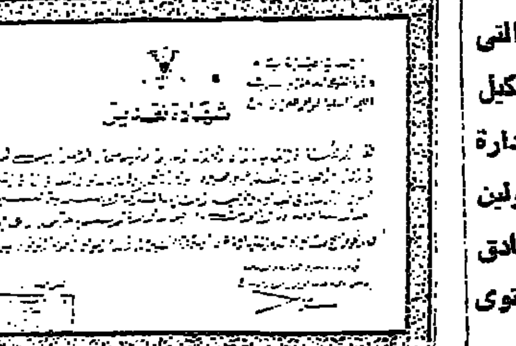
أشبه بالجنود في جيش جرار يسحق الزحف الرهيب .. الاعمدة الخرسانية الارض وما عليها من نبات .. وتتناقص الرقعة الزراعية عاما بعد عام .. ما الحل ؟ ..

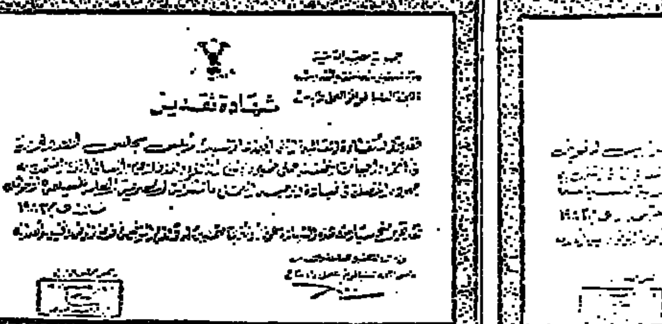
الشيخان .. « لتقليب المخ » .. هل تسمح لهما الصحة بحمل اوعية الماء الثقيلة ؟ والسير بها مسافات طويلة لمجرد أن يتمكنوا من الشرب .. مع الغاء كل الضرورات الحيوية الاخرى للماء ؟ ..

تصوير : بكر خليل

مخالفات مالية جسيمة بالشركة المصرية العامة للسياحة والفنادق

● أبرت النيابة الادارية بعد التحقيقات التي باشرها محمد الامين الحسيني .. الوكيل العام للنيابة الادارية ومحمد عزت مدير ادارة الدعوى التاديبية باحالة ١٨ من كبار المسئولين بالشركة المصرية العامة للسياحة والفنادق « ايجوث » الى المحكمة التاديبية لمستوى الادارة العليا .. وهم :





شهادات تقدير لكبار المتهمين ... لماذا ... ؟!

النيابة الادارية تحيل كبار المسئولين بالشركة الى المحكمة التاديبية

● المتهمون لم يحافظوا على أموال الشركة وخالفوا لوائحها المالية

تحقيق :
حمدي حمادة

١ – أمين احمد البدوي الجرواني.
رئيس مجلس ادارة الشركة المصرية العامة للسياحة والفنادق وبالمعاش حاليا .
٢ – محمد عوضين طه .
رئيس مجلس ادارة الشركة المصرية للسياحة والفنادق « ايجوث » .
٣ – عبد الخالق أنور محمد .
نائب رئيس مجلس ادارة الشركة المصرية العامة للسياحة والفنادق والمعار رئيسا لمجلس ادارة الشركة العربية للاستثمار السياحي .
٤ – أحمد محمد لبيب الجويني .
نائب رئيس مجلس ادارة الشركة .
٥ – عدلي صلاح الدين دمرداش .
رئيس القطاع المالي والتجاري بالشركة .
٦ – عبد العليم عبد القادر كامل .
رئيس القطاع الهندسي بالشركة .
٧ – نبيل ابراهيم درويش .
رئيس قطاع المعلومات والمتابعة وعضو مجلس ادارة الشركة .
٨ – عبد الوهاب محمد فرج .
مدير ادارة متابعة المدارس الفندقية وعضو مجلس ادارة الشركة .
٩ – محمد صالح بكير .
مدير ادارة دراسات الجدوى وعضو مجلس ادارة الشركة .
١٠ – محمد سامي محمود عبد الحكم
مدير ادارة الاحصاء وعضو مجلس ادارة الشركة .
١١ – محمد سامح توفيق .
مدير ادارة البحوث والدراسات الهندسية وعضو مجلس ادارة الشركة
١٢ – بهي الدين محمد عبد الله .
مدير عام العلاقات العامة للدعاية والاعلان ورئيس الجهاز التنفيذي لمشروع تطوير فندق ميناهاوس أوبروي .
١٣ – رضا سيد عبد الوهاب .
المهندس بالقطاع الهندسي .
١٤ – محمد محمود متولي .
مدير عام الحسابات بشركة ايجوث
١٥ – الشافعي محمد كمال .
« أخصائي العلاقات العامة » .
١٦ – سامي فتحي .
الاخصائي بادارة الاحتياجات بالشركة
١٧ – السيد الشربيني سرحان .
« مدير ادارة المشتريات بالشركة »
١٨ – كمال الشربيني علي .

أخصائي أول عمليات الفنادق العالمية بالشركة .

وقد جاء في قرار النيابة الادارية بانهم لم يؤدوا العمل المنوط بهم بالدقة الواجبة ولم يحافظوا على أموال وممتلكات الشركة التي يعملون بها وخالفوا أحكام اللائحة المالية ولائحة المشتريات الخاصة بشركة « ايجوث » وتضمن الاتهام الوقائع التالية :

قام رئيس مجلس الادارة السابق بالموافقة على اسناد اعمال الرخام موضوع التحقيق بالقضية رقم ١٥ لسنة ١٩٨٣ « ادارات عامة » للمقاول صادق معوض بقيمة قدرها ١٤٨٧٦٤ جنيها دون اجراء مناقصة وهذا مخالف للائحة الشركة .. وقد ترتب على ذلك ضياع حق الشركة بزيادة قيمة تلك الاعمال عن السابق التعاقد عليها معه بمبلغ قدره ٥٩٩٤٩ جنيها .

وافق رئيس مجلس الادارة السابق مع المتهم الرابع حتى الحادي عشر « أعضاء مجلس الادارة » على اعتماد مبلغ ٢٥٤٩٠ جنيها لاستكمال أعمال الرخام .. وقام بتعويض الادارة الاجنبية لفندق « مينا هاوس » في اجراء ممارسة بشأنها والتي أسندتها للشركة المصرية لاعمال الرخام بالمخالفة لاحكام لائحة الشركة .

وافق رئيس مجلس الادارة أيضا على اعتماد مبلغ ٣٦٢٦٠ جنيها باقي قيمة أعمال الرخام بعد تجزئتها مما الحق اضرارا مالية بالشركة .

وافق رئيس مجلس الادارة السابق مع عبد الخالق أنور محمد نائب رئيس مجلس الادارة حتى المتهم العاشر على اعتماد مبلغ ١٤٠٠٠ جنيه لاعمال اضافية ومؤقتة ومستجدة بفندق ميناهاوس أوبروي . وتفويض ادارة الفندق الاجنبية في تنفيذ اجراءات هذه الاعمال مما الحق الضرر بالشركة .

فوض رئيس مجلس الادارة السابق مع أحمد محمد الجويني ، نبيل ابراهيم درويش رئيس قطاع المعلومات والمتابعة حتى المتهم الحادي عشر على تفويض الادارة الاجنبية للفندق في شراء ماكينتين لمطبخ الديسكوتيك في حدود مبلغ ٢٠٠٠ جنيه ومن اختصاصها .

وكذلك فوض رئيس مجلس الادارة السابق الادارة الاجنبية للفندق في اجراء ممارسات واسناد أعمال توريدات وبناء مستلزمات صالة المدخل وذلك بالنسبة لاعمال الخرسانة الجاهزة التي تم شراؤها من شركة المقاولون العرب بمبلغ ١٩٥٠٠ جنيه والاعمال المدنية التي أسندت للمقاول المهندس حلمي أحمد بمبلغ ٢٧٤٤١ جنيه وأعمال تكييف الهواء والتي أسندت لشركة النيل للهندسة العمومية بمبلغ ٦٠٠٠ جنيه متجاوزا في ذلك حدود سلطاته المالية المقررة بالرغم من عدم اختصاص الادارة المذكورة بذلك وبدون اجراء مناقصات .

أهمل رئيس مجلس الادارة اتمام التعاقد مع المهندس الاستشاري محمود عمرو الالفي بشأن الاعمال المطلوبة لفندقي مينا هاوس ، أسوان أوبروي مما ترتب على ذلك من مباشرة المهندس المذكور الاعمال الفنية دون ضوابط وتعذر تحديد مسئولياته حال الاخلال بالتزاماته على النحو المفصل بالاوراق

أهمل اصدار القرارات اللازمة بشأن تشكيل جهاز لمتابعة تنفيذ المشروعات بفندق ميناهاوس .. مما أسهم في تجاوز ادارة الفندق في اختصاصاتها والتضارب في أعمال المقاولات .

وأدانت النيابة الادارية رئيس مجلس ادارة الشركة الحالي « محمد عوضين طه » حيث انه وافق على صرف ٥٠٠٠ للمهندس الاستشاري بناء على طلب قدمه رئيس القطاع المالي والتجاري بالشركة بالرغم من عدم استكمال اجراءات التعاقد معه .

وأدانت النيابة الادارية كمال الشربيني على أخصائي أول عمليات الفنادق العالمية بالشركة لانه أهمل مراجعة الكشوف الخاصة بمصروفات التشغيل وهي قيمة وجبات تناولها المهندس محمد محمود وأسرته بقيمة ٤٣٠٨٩ وأهمل مراجعة سجلات الاستقبال بالفندق مما أدى الى عدم اكتشاف اقامة كل من المهندس محمد محمود هبيلة والمهندس عمرو الالفي وأسرتيهما والمقاول صالح الخياط بالفندق وعدم ادراج تكاليف الاقامة واجمالها بمبلغ ٤٥٦٧٠٧٤٠ جنيه بسعر البيع ٤٢٧ر١٠٨٧٨ جنيها بسعر التكلفة ضمن ايرادات التشغيل .. مما ترتب عليه تفويت نصيب الشركة المالكة في مقابل اقامة الاشخاص المذكورين .

لذلك طلبت النيابة الادارية من المستشار رئيس المحكمة التاديبية تحديد أقرب جلسة لمحاكمة المتهمين حيث ارتكب المتهمون المخالفات المالية المنصوص عليها في قانون نظام العاملين بالقطاع العام الصادر بالقانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٧٨ وأحكام اللائحة المالية الموحدة للشركة المصرية العامة للسياحة والفنادق « ايجوث »

شخصية حزبية

ابراهيم محمد طلبة

عضو أمانة لجنة اعادة تنظيم الحزب

● مواليد عام ١٩٣٢ – الفيوم .
● عضو منتخب بالاتحاد الاشتراكي «لجنة العشرين» عن الموسكي .
● عضو جمعية رعاية الطلاب بمصر القديمة .
● عضو منتخب باللجنة التنفيذية لادارة جنوب القاهرة التعليمية .
● عضو مؤسس بحزب الاحرار .
● استقال من الاتحاد الاشتراكي عندما انحرف التنظيم السياسي السابق عن رسالته .
● عاد لممارسة النشاط السياسي من خلال حزب الاحرار .
● عضو لجنة اعادة تنظيم حزب الاحرار .
● مدير عام الشئون المالية والادارية للشركة العربية للدرسلين .. شركة استثمارية .
● يعتبر أن حزب الاحرار وبرنامجه هو المثل الحقيقي لارادة الشعب المصري وأفكاره .. وخاصة لما جاء في برنامج الحزب بأن الشريعة الاسلامية هي المصدر الاساسي للدستور وحكم البلاد .

ابراهيم محمد طلبة

وجهة نظر ياوزير التعمير

لا أخفي اعجابي بك ، واقتناعي بجهودك التي بذلتها وتبذلها منذ ان عرفنا اسمك ، مما شجعني أن أبدي وجهة نظر متواضعة ، قد تبدو سخيفة أمام الذين يبهرهم الجمال والتنسيق والالوان والتماثيل والنافورات .

ان المجتمع الجديد من وجهة نظري لا يعني الا بعث الحياة في مناطق بعيدة عن العمران على أية صورة حتى ولو كانت بدائية .. وبهذا المفهوم فالحياة لا تبعث بالمسطحات والارصفة والحدائق والسينما والملاهي والسوبر ماركت .. وانما يكفي توصيل المياه والكهرباء وشق طريق رئيسي للمجتمع الجديد .. وعلى الذين يرغبون في الاقامة فيه ان يتعاونوا في خلق المجتمع على المستوى الذي يأملونه لانفسهم .

فالماء هو سر الحياة ، ولا غنى عنه للشرب والاكل والزرع والبناء والكهرباء .. لا غنى عنه لزيادة ساعات العمل ، وتشغيل بعض الالات والترفيه ، والاتصال بالعالم الخارجي ، وتتبع الجريمة .. اما الطريق فهو حيوي لامداد وتموين سكان المجتمع الجديد وتسهيل وصول الاشخاص الذين يقصدون هذا المجتمع لاي غرض من الاغراض .

مثل الصين كيف اقامت المجتمعات الجديدة في وقت فقرها بعد ان تخلصت من الاستعمار ؟ .. لقد اقامتها بطريقة لا ارضاها لشعبنا المجيد ، ولاختلاف الجنس والعادات والتقاليد ونظام الحكم .. فقد كانت تجمع الاشخاص الزائدين في كل مجتمع الذين يشكلون عبئا عليه وتنقلهم الى مكان بعيد ، تلقي بهم فيه وتقول لهم انتم ستعيشون هنا وعليكم بذل طاقاتكم لكي تعيشوا ، بدون أي مساعدة أو دعم من الحكومة .. هذا ما رواه لي الدكتور أحمد زكي وكيل وزارة التربية والتعليم في بداية الثورة .. بعد ان كان في زيارة رسمية للصين .

اما بالنسبة لنا ، فيكفي توصيل المياه والكهرباء ، وتمهيد الطريق ، مع مساعدات بدائية للاعاشة ، بالاضافة للترغيب بان تكون الاراضي ملكا لمن يزرعها ، وغير المزروعة ملكا لمن يبني عليها منزلا خاصا له ، وتكتفي الحكومة بما ستحصله مستقبلا من عوائد وضرائب ، يبدأ تحصيلها بعد مرور مدة محددة من استصلاح الارض .

واذا ما اضفنا الى ذلك تشجيع اقامة المصانع في المجتمعات الجديدة بتقديم الارض لها دون مقابل .

وتشجيع شركات لاصلاح الاراضي ، باطالة مدة اعفائها من الضرائب وتمليك عدد من الافدنة لكل العاملين فيها .

واخيرا استخدام الايدي العاملة خلف جدران السجون باجور رمزية ، وتمليك كل من يعمل منهم في الاصلاح أو البناء عددا من الافدنة بعد انتهاء مدة الحكم عليه أو العفو عنه .

تحية لك .. وتحية للاحرار .. ولكل من يبني مصر .



لواء : زغلول شلبي
عضو المكتب السياسي للاحرار

الاغتيالات السياسية ضريبة يدفعها عظماء السياسة

الملك فيصل

انديرا غاندي

لم تكن انديرا غاندي أول من اغتيل سياسيا - ولن تكون آخرهم .. ان كانت انديرا غاندي من كبار السياسيين في العالم الثالث . فقد قدمت لبلادها اعمالا جليلة . فلكن هذه هي الضريبة التي وجب سدادها .

فالاغتيالات السياسية ضريبة يدفعها عظماء السياسيين .. وان كنا لا نريد مقارنة السياسيين باثنين من عظماء الصحابة لقيا مصرعهما على أيدي المعارضين هما : عمر وعلي - رضي الله عنهما وأرضاهما - فان السياسيين العظماء في عصرنا الحديث لقوا مصرعهم على أيدي معارضيهم أيضا .

بقلم :
محمد عبد السميع رمضان
امين الاحرار بالقاهرة

فقد لقي أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء مصرعه في مجلس النواب على يد شاب اختلف في رأيه مع رئيس الوزراء ، فلم يستعمل الحوار الهادئ .. بل استعمل مسدسه وقتل الرأي المعارض .

كذلك عندما أصدر النقراشي قراره بحل جماعة الاخوان المسلمين ، قتله عبد المجيد حسن ، أحد شباب الجماعة في وزارة الداخلية . وكان رد الحكومة على ذلك قويا .. فقد سخرت من قتل مرشد الاخوان المسلمين المرحوم حسن البنا ، ولم يكن في الحكم ، ولكن من عظماء رجال السياسة .

ولقد تمت محاولات كثيرة لقتل المرحوم الزعيم خالد الذكر مصطفى النحاس باشا ، وآخر محاولة نسفوا سيارة ملغومة ، ولكن ارادة الله حفظت الزعيم وتعلقت احدى قطع السيارة بناموسية السرير الذي يرقد عليه النحاس باشا .. وكان مستغرقا في نومه ، في رعاية الله ، ولم يمسسه سوء .

ولقد لقي أنور السادات مصرعه بعد ان حرر الارض المصرية من دنس اليهود .. وغسل عار هزيمة يونية سنة ١٩٦٧ المنكرة ، وأكد عزة الجيش المصري العظيم .. ولولا قرار أكتوبر لما ظهرت شجاعة الجندي المصري ولظل أسير عار ٥ يونية سنة ١٩٦٧ .. وقد كان قرار الحرب لا يصدر الا من رجل عظيم .. فلم يكن ليصدره الا شجاع .. ولا يصدر الا عن رجل بكل المقاييس يغامر بحياته ومركزه .. ولكنه آثر غسل عار الهزيمة على الحياة .. وكتبت له ان يقتل في يوم قراره العظيم .

وان كان السادات قد أصدر قرار الحرب فقط ، فان ذلك يكفيه ليكون عظيما .. ولكنه حرر قبل ذلك الارادة المصرية من زبانية جهنم الذين كانوا يسيطرون على مقدرات البلاد ويتفننون في اذلال شعب مصر .. جعلوا من الشعب المصري اما جواسيس ، واما أمعات جلبوا الهزيمة والعار وسلموا البلاد للروس . لعلهم يحمون أرض مصر من غارات اليهود .. وأصبح الجيش المصري في قبضة الروس .. ان لم يكن للسادات من عمل سوى القضاء على هذه الفئة لكان عظيما .

ولكن السادات أيضا طرد الروس من مصر ، وأصبحت مصر صاحبة الارادة .. ولو ظل الخبراء الروس في الجيش المصري ، لما حاربت مصر ، ولا انتصرت ولا بالسلم .

ولكن السادات العظيم حارب في أكتوبر ، واسترد الارض المصرية بحرب وبسلم .

ولما كانت روسيا تراجعت على يد السادات ، فلم يكن في امكانها ان تسكت عليه ، وتليت عليه أعوانها في الداخل والخارج .. لكن السادات الذي حارب اليهود وانتصر عليهم ، وحول الامريكان من أعداء الى أصدقاء .. وحول الغرب لصالح مصر .. ضاق بالمعارضة ، ثم ارتكب الخطأ القاتل بالقبض على المعارضة من كافة الاتجاهات وأودعها كلها في سجن واحد .. وكان ذلك من السادات خطأ كبيرا ، ولو انه استطاع ان يفسح صدره لهذه المعارضة لتغير خط السير الديمقراطي ، لكنه ضاق عن تحمل هذه المعارضة ، وخاصة معارضة اليسار الشيوعي .. ولو كان قد فعل لكانت الامور قد تغيرت الى تقدم ديمقراطي كبير .. فان التحول الديمقراطي الذي بدأه السادات ومهما قالوا عنه ، فانه اصبح حقيقة واقعة في عهد حسني مبارك .

ولو ان السادات تقبل بروح ديمقراطية لتجاوز المعارضة .

ولو ان السادات تقبل بروح تضليل المنافقين الذين كانوا يزينون له البطش بالمعارضة ، لانهم غير مؤمنين بالديمقراطية .. ولو انه سار بروحه التي عرفناه بها منذ الاربعينات ، لتغير المسار الديمقراطي .. لكنها ارادة الله

وعلى كل .. فقد أصدر السادات قرار الحرب ، وكان يؤمن بانه اما انتصار .. واما قضاء عليه سياسيا .. وكان يستلهم الغيب .. فقد قتل في يوم احتفاله بنصره العظيم .. نصر أكتوبر .

والاغتيال السياسي في كل البلاد .. لكنه كثير في بلاد العالم الثالث ، والبلاد غير الديمقراطية .. وكلما تقدم النظام الديمقراطي ، قل الاغتيال السياسي والعنف .. وكلما زاد الضغط الحكومي ، وزادت النظم الدكتاتورية تقلصا .. كلما كانت فرص العنف السياسي والاغتيال السياسي اكثر .. فالديمقراطية عبارة عن فتح أبواب الحوار السلمي ، والبعد عن حوار المسدسات والقنابل .. فماذا لو اعتنق الحكام الاسلوب الديمقراطي .. وفتحوا الابواب امام الكل لاقامة حوار ديمقراطي سلمي ، بعيدا عن المعتقلات والسجون ، وبعيدا عن المسدسات والرصاص .

مؤتمر الاقتصاديين العرب أوائل العام القادم ....

تقرر انعقاد مؤتمر اتحاد الاقتصاديين العرب في الربع الاول من العام القادم .

أرسل الاتحاد الدعوات الى الاعضاء على ان يرسلوا أبحاثهم حتى نهاية العام الحالي . وسيتم تحديد الموعد نهائيا لعدد الاعضاء ...

○○○

مؤتمر الاقتصاد والتشريع يعقد في ١٥ نوفمبر ...

تقرر تقديم موعد انعقاد المؤتمر السنوي للاقتصاد والتشريع والاحصاء من مارس العام القادم . الى ١٥ و ١٦ و ١٧ نوفمبر الحالي وذلك بمقر الجمعية المصرية للاقتصاد والتشريع .

○○○

تم افتتاح مركز جديد للدراسات العليا ... يمنح ... الثاني للصحة النفسية للطلاب ويقبل خريجي كليات الطب .



هكذا من الاصل





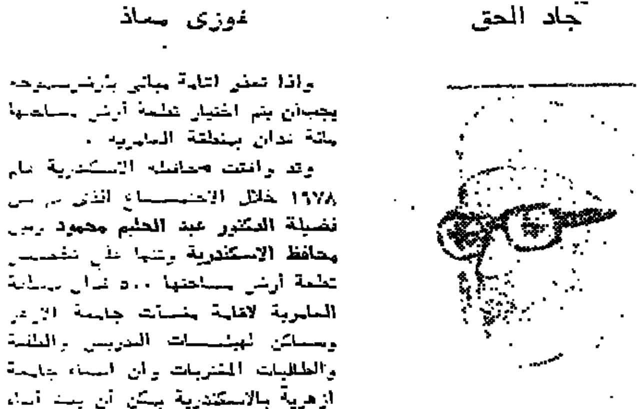
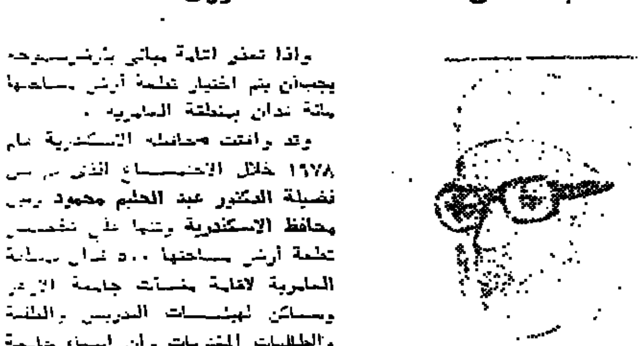
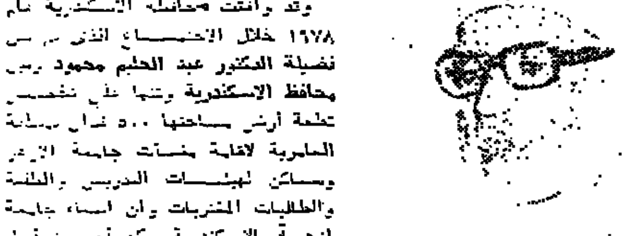
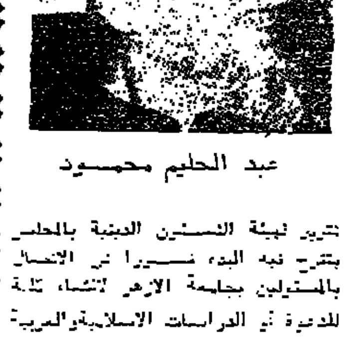
هكذا من الأصل

أين فرع جامعة الأزهر بالاسكندرية ؟ !

١٥٠ ألف جنيه من شيخ الازهر .. و٢٧ فدانا من المحافظة
فجأة تبخر المال .. وبيعت الأرض لجمعيات الإسكان

قضية خطيرة .. يرجع تاريخها الى عام ١٩٧٢ حينما وافق الازهر والاوقاف ومحافظة الاسكندرية – توفر على طلبة وطالبات الاسكندرية متاعب السفر الى القاهرة لاكمال تعليمهم الجامعي الازهري .

تشابكت خيوط القضية منذ ذلك التاريخ وأخذت المحافظة في اتخاذ الاجراءات التنفيذية لاقامة هيئة الجامعة – اعتمدت ١٧٥ ألف جنيه كمقدمة لهذا المشروع وخصصت ٢٧ فدانا بمنطقة سموحة .. واعتمد شيخ الازهر الاسبق الدكتور عبد الحليم محمود مبلغ ١٥٠ ألف جنيه مساهمة من الازهر في بناء هذه الجامعة .

جاد الحق — فوزي معاذ — عبد الحليم محمود

عبد الرحمن بيصار

تحقيق :
مصرى البرديسى
محمد السايسى

فجأة قامت القضية .. لا الجامعة بنيت ولا المحافظة تحركت رغم حث المجلس المحلي لمحافظة الاسكندرية في اجتماعاته على بناء جامعة ازهرية بالاسكندرية ..

ولم يقف الامر عند هذا الحد السلبي المجيب بل قامت المحافظة ببيع المساحة التي خصصتها لبناء الجامعة بسموحة وهي ٢٧ فدانا الى جمعيات الاسكان لبناء وحدات سكنية عليها بعد ان قام وزير الاوقاف بوضع حجر الاساس لبناء الجامعة ، وبحضور محافظ الاسكندرية السابق .

فتح الملفات . . . . .

واذا كانت هذه القضية قد اصبحت الان في طي النسيان فان « الاحرار » تفتح هذا الملف لكي تحدد المسئولية عن هذا الاهمال ، واين ذهبت الميزانية التي اعتمدتها محافظة الاسكندرية والتي اعتمدها شيخ الازهر الاسبق . ثم الاراضي التي خصصت لهذا الغرض واين البديل ؟ ..

ان « الاحرار » هنا لا نتجنى على احد ولكنها الوثائق تتكلم

ولتكن نقطة بدايتنا عام ١٩٨٠ حين قام اولياء امور الطلبة بالاسكندرية بتقديم مذكرة الى ... [illegible] ... الاكبر شيخ الازهر الاسبق ومحافظ الاسكندرية حينئذ ... لقد استجاب رئيس الجمهورية انور السادات لمذكرة ممثلي الجمعيات والهيئات الدينية واولياء الامور بالمعاهد الازهرية بالاسكندرية اثناء مقابلتهم معه والتي حضرها محافظ الاسكندرية ومندوب الازهر ، بشأن انشاء جامعة ازهرية بالاسكندرية .

واعلن حرصه على مستقبل طلبة وطالبات الاسكندرية بان يستكملوا تعليمهم الديني بالاسكندرية بدل الذهاب الى القاهرة لتحمل مادية ونفسية ، وطلب سيادته البدء فورا في انشاء جامعة ازهرية بالاسكندرية بعد ان علم ان المجلس الاعلى للازهر وجامعة الازهر قد وافقا على انشاء جامعة ازهرية بالاسكندرية في يونيو عام ١٩٧٢ بمنطقة سموحة بحضور وزير الاوقاف ومحافظ الاسكندرية .

واضاف اولياء امور الطلبة والطالبات بالاسكندرية ، ان انشاء جامعة ازهرية بالاسكندرية اصبح امرا ملحا وضروريا خاصة بعد ازدياد الاقبال على التعليم الديني للبنين والبنات ... [illegible] ... بالاسكندرية منذ ١٩٧٦ ويبلغ عدد الطالبات الان اكثر من اربعة آلاف طالبة عام ١٩٨٠ .

وبعد انتقاذ الخطوات التمهيدية لتنفيذ ذلك اصدر الدكتور نعيم ابوطالب قرارا بتخصيص قطعة أرض بمنطقة سموحة بالاسكندرية لانشاء فرع لجامعة الازهر عليها .. وبعد موافقة وزير الدولة الاوقاف على تخصيص معسكر ابوبكر الصديق بالعصافرة التابع لكون مقرا لكلية البنات للدراسات الاسلامية ثم تشكيل لجنة لاعداد وتجهيز المعسكر لاستقبال خريجات المعاهد الازهرية ، بالمحافظة كنواة لجامعة ازهرية على ان يفتتح ابوابه للدراسة في عام ٨٠ – ١٩٨١ .

مساهمة الجمعيات الدينية

وهنا نذكر دور الجمعيات الدينية بالاسكندرية فقد اعلنت عن استعدادها للمساهمة في اقامة الجامعة الازهرية وانه تم اعتماد مبلغ ١٥٠ الف جنيه لانشاء هذا الفرع (جامعة الازهر) تم صرف هذا المبلغ لشركة المقاولين العرب المستندين رقمي ٢٨٣٧ ، ٢٩٣٠ بتاريخ ٢١–١٢–١٩٧٢ ..

واذا تعذر اقامة مباني بارض سموحة يجب ان يتم اختيار قطعة أرض مساحتها مائة فدان بمنطقة العامرية .

وقد وافقت محافظة الاسكندرية عام ١٩٧٨ خلال الاجتماع الذي ترأسه فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ومحافظ الاسكندرية وتمت الموافقة على تخصيص قطعة أرض مساحتها ٥٠٠ فدان بمنطقة العامرية لاقامة منشآت جامعة الازهر ومساكن لهيئات التدريس والطلبة والطالبات المغتربات وان انشاء جامعة ازهرية بالاسكندرية يمكن ان يخدم ابناء الاسكندرية ومحافظة البحيرة وكفر الشيخ ومطروح .

وذلك بعد ان رفض الجهاز التنفيذي للمحافظة اقامة الجامعة في سموحة .

وهكذا بعد ان وافق المجلس المحلي لمحافظة الاسكندرية وبعد ان وافق المجلس التنفيذي على انشاء هذه الجامعة واعتماد التمويل اللازم لها ..

توقف كل شيء واصبحت القرارات والاعتمادات في خبر كان ..

رأى المجلس المحلى . . .

واخيرا التقت « الاحرار » بعزت قدوس رئيس المجلس الشعبي المحلي لمحافظة الاسكندرية : الذي قال : انها خسارة كبيرة ان تكون الاسكندرية الى الان بدون جامعة ازهرية – ... [illegible] ... المسئولين التنفيذيين في الاسكندرية لن ... جهدا حتى تتم هذه ...

ويضيف قائلا : انما ... المجلس ... هذه المشكلة ... تحرير لهيئة المشرفين الدينية بالمجلس بترح فيه البدء فورا في الاتصال بالمسئولين بجامعة الازهر لانشاء كلية للدعوة او الدراسات الاسلامية والعربية او اصول الدين وتكون الدراسة بها بمسجد سيدي المرسي ابو العباس ، ومسجد الامام البوصيري وليبدأ الدراسة في العام الدراسي ٨٤ – ١٩٨٥ .

والان وبعد كل ماسبق فان الاحرار تود أن تعرف من المسئولين ..

حقيقة الامور الاتية . . .

■ اولا : أين ذهب مبلغ ١٧٥ الف جنيه كانت المحافظة قد خصصتها لاقامة جامعة ازهرية بالاسكندرية ؟

■ ثانيا : أين ذهبت ١٥٠ الف جنيه كان شيخ الازهر الاسبق الدكتور عبد الحليم محمود قد اعتمدها لانشاء فرع للجامعة الازهرية بالاسكندرية .

■ ثالثا : اذا كانت المحافظة قد حددت ٢٧ فدانا بمنطقة سموحة لاقامة الجامعة عليها . ثم تراجعت وخصصت ٢٠٠ فدان بالعامرية ثم تراجعت والى الان لم تخصص أي أرض .. فمتى يتم ذلك لاسيما وأن أغلب محافظات مصر بها نواة متكاملة لجامعة ازهرية . وتعتبر الاسكندرية ثانية مدن مصر لا يوجد بها الا كلية واحدة .. تابعة لجامعة الازهر ؟ .

مافائدة أقسام اللغات الشرقية بالجامعات ؟ !

في اطار حاجة الدولة الماسة الى الانتاج في كل المجالات ، واستغلال طاقة كل مصري من اجل النهوض بمصر اقتصاديا وتكنولوجيا ، وتفجر الاحرار » هذا الاسبوع قضية هامة وهي اقسام اللغات الشرقية التي لاتستفيد منها الدولة شيئا ! .



طلعت أبو فرحه — احمد الخولي — رشاد الشامي

العبرى والفارسى
يتولى تدريس اللغة العربية !

تحقيق :
جمال عبد السميع

هذه الاقسام هي قسم اللغة العبرية ، قسم اللغة الفارسية وقسم اللغة التركية ، وكانت هذه الاقسام الثلاثة تندرج تحت قسم واحد هو « قسم اللغات الشرقية » الا انهم – في كليات الاداب رأوا فصل الاقسام عن بعضها من السنة الاولى بدلا من ان يكون الفصل أو التخصص ابتداء من السنة الثانية وذلك اختصارا لوقت الطالب ، ومحاولة الاستفادة من السنة في زيادة جرعة المادة العلمية .

والواقع ، ومن خلال اللقاءات المباشرة لطلبة الاقسام الثلاثة في جميع السنوات الدراسية والخريجين وكذلك الذين يعملون في مؤسسات الدولة المختلفة ، يبين ان اكثر من ٩٥٪ من طلبة هذه الاقسام يتخرجون دون استيعاب اللغة واحيانا يعمل معظمهم مدرس لغة انجليزية ، وآخرون يعملون موظفي ارشيف وما الى ذلك من الوظائف التي لاعلاقة لها باللغات الشرقية ، كل هذا بسبب عدم تحصيل هؤلاء الطلبة للغة طوال سنوات الدراسة : .

وهنا تثور عدة تساؤلات هامة :

● لماذا لانغلق اقسام اللغات الشرقية ؟ .

واذا كانت هناك اهمية خاصة لدراسة هذه اللغات فما هي اسباب هبوط مستوى خريجها ؟ .

كيف نحدد هذه الاقسام اعداد الطلبة الذين تقبلهم سنويا ، ما هو الدور الحقيقي الذي يمكن أن تقدمه هذه الاقسام لمؤسسات الدولة ؟ وكيف يمكن تحقيق هذا الدور ؟ .

كل هذه التساؤلات ، تطرحها « الاحرار » على مائدة الحوار مع عدد من اساتذة اللغات الشرقية للتعرف على اجاباتهم التي نريد بها مصلحة مصر القومية .

دافع د. رشاد الشامي رئيس قسم اللغة العبرية بآداب عين شمس عن اهمية دراسة اللغة العبرية بوجه خاص واللغات الشرقية بوجه عام واكد ان هناك الكثير من خريجي هذه اللغات يعملون في الجهات الحساسة في الدولة مثل رئاسة الجمهورية والمخابرات العامة وقطاعات الجيش وهيئة الاستعلامات والبرامج الموجهة بهذه اللغات في الاذاعة والتي يمتد ارسالها نحو ٦ ساعات يوميا ، وقد بلغ عدد العاملين بهذه البرامج نحو ٥٠ خريجا .

واضاف د. رشاد الشامي : ان عددا كبيرا من خريجي قسم اللغة العبرية يسجلون بالدراسات العليا كل عام ، وهذا دليل على أن الجرعة العلمية التي تقدم للطلاب خلال السنوات الاربع كافية لجعله – ويعض التوجيه والتدريبات العلمية التي تقدمها تلك الجهات – مؤهلا للعمل في مجال تخصصه .

● وعن اهمية الدور الذي يمكن ان يلعبه خريجو قسم اللغة العبرية قال د. رشاد كان الابطال المجهولون في حرب اكتوبر ٧٣ هم هؤلاء الخريجون حيث امكن الاستفادة منهم في عمليات التصنت واستطلاع جميع المعلومات وتحليلها عن كافة تحركات العدو وقد كان لهذا الدور اثر كبير في سير المعارك الحربية وقتها ، ويرجع ذلك الى التدريبات التي اعدتها القوات المسلحة لرفع مستوى كفاءة هؤلاء الخريجين من امكانية تقديم الخبرات في اللغة العبرية .

●● وقد وجه د. رشاد الشامي الدعوة الى مؤتمر قومي يدعى اليه كل المهتمين باللغات الشرقية وكل المسئولين الذين يرون اهمية لدراسة تلك اللغات ، وذلك لتحديد متطلبات الدولة واجهزتها من حيث العدد والنوعية من خريجي هذه الاقسام

وقال : لقد آن الاوان لكي لانضيع وقتنا ووقت الطالب ، يجب أن نحدد اعدادنا بدقة اذا كانت هناك جدية حقيقية لدراسة لغة بلد لها اهمية خاصة بالنسبة لمصر والدول العربية سلما وحربا : .

●● أما الدكتور احمد الخولي – استاذ اللغة الفارسية فدافع بطريقة اخرى وقال : في قسم اللغة الفارسية تخرج مدرسين عربي ومدرسين انجليزي وذلك لارتفاع مستوى خريجينا الذين يعمل منهم نحو ٤٠ ٪ في تخصصاتهم في الجهات الحساسة التي تستعين بهم .

وقال : ان تدخل السياسة في نظام التعليم وجعله مجانيا وبدون ضوابط وفتح الباب على مصراعيه امام الاعداد الهائلة من الطلبة ، كل هذا هو السبب الرئيسي لهبوط مستوى تحصيل الطالب اثناء سنوات الدراسة وبالتالي انخفاض مستوى كفاءته بعد التخرج مما لايسمح له بالعمل في تخصصه في معظم الحالات واضطراره الى قبول اي عمل ، وبذلك تكون الدولة قد تحملت اعباء تعليمه بالمجان طوال دراسته وايضا لم تستفد منه بعد التخرج في عمل منتج حقيقي .

●● وتناول الدكتور طلعت ابو فرحة ، عميد كلية اللغات والترجمة جامعة الازهر – واستاذ اللغة الفارسية – بالتحليل الاجابة على السؤال الهام عن الاهمية التي من اجلها تدرس اللغات الشرقية ولغات اخرى لم تستفد بها الدولة بشكل ملموس حتى الان فقال : لابد اولا أن نتفق على أن لمصر دورا قياديا وحضاريا يميزها بين الدول فمصر بلد شرقي ، لها دور متميز في المنطقة وهي حلقة اتصال وهي مركز حضاري وثقافي وخلال حملها لثقافات العالم ولكل هذه اعتبارات ، وغيرها ، كان ولايزال لزاما على مصر أن تعنى عناية فائقة بدراسة لغات هذه الشعوب الشرقية بدرجة اكبر من عنايتها بدراسة لغات الغرب : .

●● وعن السؤال الخاص بالاعداد التي تلقنها اقسام هذه اللغات والتي تثقل عبئا بالاضافة الى هيئات تدريسها ، قال عميد كلية اللغات والترجمة : انه بالنظر الى خريطة دراسة اللغات في مصر ، نجد أن في المقدمة تأتي اللغة الانجليزية ثم الفرنسية ثم اللغة الالمانية ، وتأتي في المؤخرة اللغات الشرقية – رغم اهميتها – ومهما قيل عن تعدد مراكز تعليم هذه اللغات ، والتي تعد على اصابع اليد الواحدة ، ومهما قيل عن عدد طلاب هذه الاقسام الذين لايتجاوزون بضع مئات بالكثير الى الاف او عشرات الالف الذين يدرسون اللغات الغربية – الانجليزية – الفرنسية – الالمانية وهذا يكفي لابطال المزاعم التي تتردد بان اقسام اللغات الشرقية تمثل عبئا لاجدوى من ورائه

●● وعن هبوط مستوى طلبة وخريجي اقسام اللغات الشرقية قال د. طلعت ابو فرحة : أن هذه الاقسام شأنها شأن باقي الاقسام الدراسية في اي فرع من فروع التعليم حيث يوجد المتميزون وهم بالطبع القلة ، ويوجد الاواسط ويوجد المستوى الاقل او الادنى وهم القاعدة العريضة .

ولعل سببا يضاف الى هذه الحقيقة فيما يتصل باللغات الشرقية يحتاج الى ان نتداركه ، وهو عدم وجود خلفيات او مقدمات لهذه اللغات تتمثل في تدريسها في المراحل الدراسية السابقة على الجامعة كما هو الحال والمتبع بالنسبة للغات الانجليزية والفرنسية وحتى الالمانية .

●● وعن سؤالي بشأن كيفية رفع مستوى كفاءة الطالب وبالتالي خريجي اقسام اللغات الشرقية اذا كان هناك اصرار على الابقاء عليها – قال عميد كلية اللغات والترجمة :

اننا في أمس الحاجة الى معامل للغات ومختبرات واجهزة سمعية وبصرية وكافة التسجيلات الصوتية المعدة على شرائط او اسطوانات كما اننا نفتقر الى الاماكن التي تصلح للدراسة وفق المعايير الحديثة لدراسة اللغات .

هذا بالاضافة الى ضرورة اتاحة اللغات لقضاء فترة كافية من الوقت ولكن العطلة الصيفية او سنة دراسية ان امكن او حتى فصل دراسي في احدى البلدان الناطقة باللغة التي يدرسها الطالب وذلك للتدريب العملي بين شعوب هذه البلدان بالاحتكاك المباشر وعدم الاكتفاء بالدراسة الاكاديمية .

كما ينبغي تيسير فرص المنح الدراسية بعد التخرج لاستكمال الدراسات العليا لمن تحتاجه الدولة في اجهزتها المختلفة .

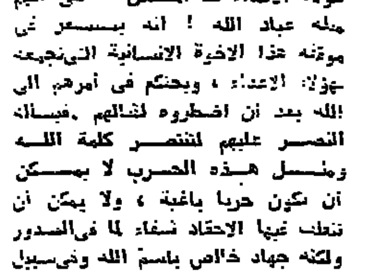
●● واكد د. طلعت ابو فرحة أن دراسة اللغات الشرقية تحتاج ، بالاضافة الى كل ذلك ، أن تدريسها في مراحل التعليم السابقة على الجامعة لكي يصل طالب الجامعة الى مستوى يؤهله للعمل بها بعد التخرج .

●● كما ان هناك اهمية بالنسبة لارتباط ادارات الدولة واجهزتها المختلفة ، والتي تستعين بحاملي هذه اللغات ، ارتباطها وتنسيقها مع الجامعة لكي يتم القبول على اساس احتياج هذه الادارات من حيث الاعداد .

كما يجب أن نوسع المجلات والجرائد ومراكز المعلومات والمراجع التي لها اهمية قصوى في دراسة هذه اللغات امام الطلبة والخريجين .

●● وعاد د. طلعت ابو فرحة يؤكد على الاهمية الملحة لهذه الامكانيات اذا كانت الدولة تضع اللغات الشرقية في موقعها الصحيح من حيث الاهمية لمصر كدولة شرقية

الحرب والأخـوة الإنسانية



■ كان صلى الله عليه وسلم – اذا خرج للقتال يتوجه الى الله بهذا الدعاء : « اللهم انا عبادك ، وهم عبادك ، نواصينا ونواصيهم بيدك اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم » .

ان الصورة التي يمثلها الرسول – صلى الله عليه وسلم – في مواجهة هؤلاء الاعداء – المعتدين – هي انهم مثله عباد الله ! انه يستشعر في موقفه هذا الاخوة الانسانية التي تجمعه بهؤلاء الاعداء ، ويحتكم في أمرهم الى الله بعد أن اضطروه لقتالهم ، فيسأله النصر عليهم لتنتصر كلمة الله ومثل هذه الحرب لا يمكن أن تكون حربا باغية ، ولا يمكن أن تنطلق فيها الاحقاد شفاء لما في الصدور ولكنه جهاد خالص باسم الله وفي سبيل الله .. ويذهب الرسول – صلى الله عليه وسلم – في سياسة الحرب الى أبعد من ذلك . انه لم يكن أحب الى من تألف القلوب وحقن الدماء ، ولهذا كان يقول لجيوشه : – « تألفوا الناس ، وتأنوا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم الى الاسلام فما على الارض من أهل من مدر ووبر – الا ان تأتوني بهم مسلمين – أحب الى من ان تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم » وكان من وصاياه – صلى الله عليه وسلم – قوله :

– « لا تقاتلوهم حتى تدعوهم ، فان أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدأوكم ، فان بدأوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلا ، ثم أروهم ذلك القتيل وقولوا لهم : هل الى خير من هذا سبيل ؛ فلئن يهدي الله على يديك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

وكذلك كان الخلفاء الراشدون في حروبهم وفي وصاياهم للجيوش .

وكانوا يأخذون على أيدي القواد الذين يسرفون في قتل الاعداء . ولقد عزل عمر بن الخطاب القائد المنتصر خالد بن الوليد وكان يقول : أن في سيف خالد لرهقا : اي ارهاقا وشدة بكثرة ما يقتل من الاعداء . ويمدح عمرو بن العاص في فتح مصر بقوله : تعجبني حرب ابن العاص ، انها حرب رفيقة سهلة : على أن ذلك لا يعني أن سياسة الحرب في الاسلام تقوم على هذا الوجه وحده ، سياسة هينة لينة رفيقة بغير حدود ولا قيود .. ذلك لان الحرب هي الحرب بشدتها وبأسها ، والعدو هو العدو بضراوته وبغيه وعدوانه ، وانما كانت هذه الوصايا ضوابط لنوازع الحرب حتى لا تكون حربا باغيه . أما الوجه الاخر لسياسة الحرب في الاسلام ، فهو الصدق عند اللقاء وأخذ العدو أخذا شديدا .

يقول الله – تبارك وتعالى :

– « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ، وأعلموا أن الله مع المتقين » .

– « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » .

والاسلام يستجيب للدعوة الى السلام حقنا للدماء .

يقول الله – تبارك وتعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » .

وقد تكون الدعوة الى السلم خدعة من العدو ، ومع ذلك فان سياسة الاسلام في الحرب تقضي بالاستجابة حتى في هذه الحالة ، مع أخذ الحيطة والحذر والايمان بنصر الله . وفي ذلك تقول الاية التي بعدها :

– « وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين » .

لا إكراه في الدين

لشيخ الاسلام ابن تيمية دراسة فقهية مقارنة عن سياسة الحرب في الاسلام . ينتهي فيها الى ترجيح رأي جمهور الامة مثل مالك وابن حنبل وابي حنيفة وغيرهم . على ما يقول به الشافعي وبعض اصحاب ابن حنبل . وذلك في قتال الكفار واهل الكتاب .

أن الجمهور يرون ان الاصل في مشروعية القتال هو الاعتداء وليس الكفر او المخالفة في العقيدة ويستدل ابن تيمية على ذلك بكثير من الايات مثل قوله تعالى . وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم . والفتنة اشد من القتل . و لاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه . فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم . وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله . فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين .

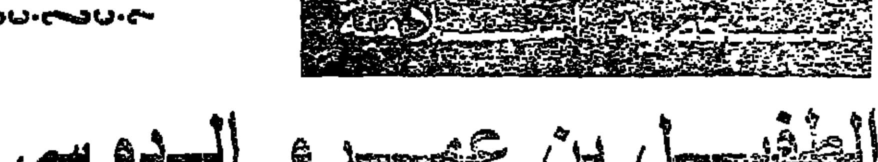
ويقرر ابن تيمية بناء على ذلك أن الاصل في علاقة المسلمين بغيرهم هو السلام . وان القتال لايكون الا في حالة العدوان . وفي ذلك يقول اذا كان القتال لاجل الحرب فكل من سالم ولم يحارب لا يقاتل سواء اكان كتابيا ام كان مشركا .

يقول الله – تبارك وتعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون »

ويتطرق ابن تيمية الى بيان ان اختلاف العقيدة لايكون سببا في القتال مستدلا بقوله تعالى « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ثم يقول « انا لانكره احدا على الاسلام ولو كان الكافر يقتل حتى يسلم لكان هذا اعظم الاكراه على الدين . »

وحين حضر وفد نصارى نجران الى المدينة بعد ان دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم مكثوا في ضيافته أياما وهو يجادلونه في دعوته وظلوا مصرين على عقيدتهم ومع ذلك لم يكرههم وسمح لهم بالصلاة في مسجده ثم ودعوه وعادوا الى بلادهم دون ان يدخلوا في الاسلام ... وفي الفتوحات الاسلامية للشام ومصر وغيرها اعطى المسلمون العهد لاهل هذه البلاد ان يظلوا على دينهم وكفلوا له حرية شعائرهم وحرمة معابدهم .. ومن دخل منهم في الاسلام ذلك كان بمحض الرغبة والاقتناع . بل ان الامر ليتعدى معاملة اهل الكتاب الى معاملة المشركين . يقول الله – تبارك – استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله المشركون . يقول الله تبارك ثم ابلغه مأمنه »

الدين و الحياة



الطفيل بن عمرو الدوسى

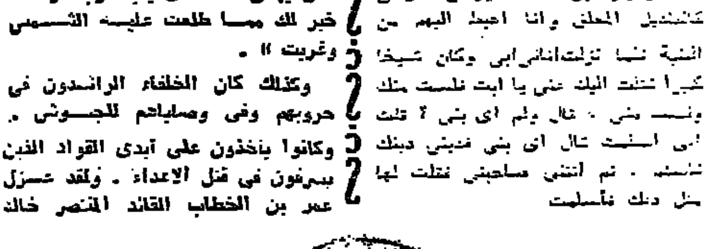
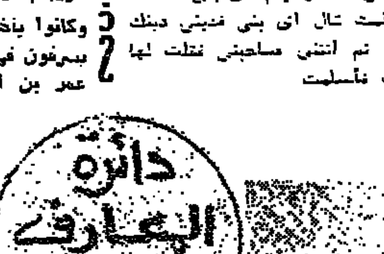
كانت قريش اذا سمعت بقدوم احد من العرب تقابلونه ويحذرونه من – رسول الله – صلى الله عليه وسلم ويصنونه بكل نقيصة خشية ان يسلم ويعود الى بلاده ويدعوهم الى الاسلام .. لكن الطفيل بن عمرو الدوسي لم يعبا بتحذيرهم بل حكم عقله وتقابل مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسمع منه القرآن ففكر فيه وتذوقه لانه شاعر فاسلم وهذه هي قصته

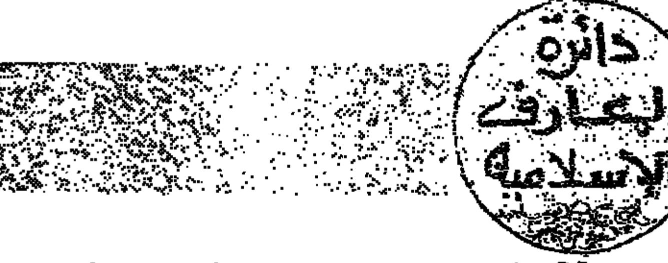
هو الطفيل بن عمرو بن ... بن العاص بن ثعلبة بن ... بن فهم بن غنم بن دوس ... عبد الله ابن زهران بن كعب ... عبد الله بن نصر بن الازد الدوسي ، يلقب ذا النور .

كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث انه قدم مكة ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – بها ، فمشى ... من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا ، فقالوا يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل ... قد اعضل بنا وفرق جماعتنا ... يفرق بين الرجل وبين ابيه ، وبين الرجل وبين اخيه وبينه وبين زوجته وانما نخشى عليك وعلى قومك فلا تكلمه ولا تسمع منه .

قال فو الله مازالوا بي حتى اجمعت ألا اسمع منه شيئا ولا اكلمه حتى حشوت اذني ... الكرسف – القطن – خوفا ان يبلغني من قوله وانا اريد ان لا اسمعه . قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قائم يصلي عند الكعبة . قال فقمت قريبا منه فأبى الله الا ان يسمعني قوله فسمعت كلاما حسنا . قلت في نفسي واثكل امي والله اني لرجل شاعر لبيب ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني ان اسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ ان كان الذي يأتي حسنا قبلته وان كان قبيحا تركته ... [illegible] ...

[illegible]



دائرة المعارف الإسلامية

■ **ثلاثيات :**

الثلاثيات اصطلاح الاحاديث المرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة رواه من الثقات . وقد خصص البخاري والدارسي منصفات مقصورة على الثلاثيات .. وشملت – ثلاثيات البخاري – حديثا ، وشملت – ثلاثيات الدارسي – ١٥ حديثا .

■ **ثلث :**

نوع من الخطوط العربية المعاصرة ، تتميز حروفه بكبر حجمها واستدارتها . وكان الطومار : وهو قطع معين المساحة من الورق يتسع لثلاثة سطور من هذا النوع من الخط .. فسمي بـ – ثلث الطومار – ثم اقتصر على تعريفه بـ – الثلث – فقط .. والطومار يساوي – من حيث اتساعه – يسمى – الدرج – وهو أكبر قطع للورق او الطاغر الذي استخدمه العرب في الكتابة ومن انواع الخطوط الاخرى الديواني والنسخ والرقعة والكوفي كما استحدثت انواع ومسميات اخرى للخطوط منها الغرشه والحر والزخرفي والمستدير .

■ **ثمار القلوب :**

كتاب في الادب للثعالبي – انظر الثعالبي – سماه : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – جمع فيه الالفاظ والصفات المضافة والمنسوبة الى غيرها والتي يتمثلها الكتاب في نثرهم وشعرهم مثل – غراب نوح – خاتم سليمان – خفاخين – مال قارون – صبر أيوب – وقسم الكتاب الى ٦١ بابا .

■ **ثمالة :**

عوف بن اسلم الازدي . جد جاهلي اشتهر باسم ثمالة وانصرف الاسم الى نسله فعرفوا بـ – بني ثمالة – ومنهم الثمالي ، وهو الفقيه المحدث أبو حمزة ثابت بن دينار الازدي . الذي عاش في خلافة المنصور العباسي ■ من أولاده مع حفد الحسين زيد بن علي توفي بالكوفة عام ١٥٠ م – ٧٦٧ م – في خلافة المنصور العباسي .

■ **ثمود :**

ثمود بن عامر بن ارم ، جد جاهلي تنسب اليه قبيلة ثمود التي ورد ذكرها في القرآن منفردا او مقرونا باسم عاد .. وهي من قبائل العرب العاربة – البائدة – والتي انقرضت قبل رسالة عيسى عليه السلام وكانت ثمود تقطن بابل قبل عهد موسى ثم انتقلت الى دومة الجندل او الحجر او مدائن موسى – بين الاردن وشمال الحجاز – قرب تبوك وتيماء . قال تعالى : « والى ثمود أخاهم صالحا ، قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره » .. وقال « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » اشارة الى قصة نبي من بينهم يدعى صالحا كانت معجزته أن أخرج من الصخر ناقة عشراء فعقرتها ثمود فأهلكهم الله ودمر مدينتهم بصاعقة أو زلزال .

■ **ثنوية :**

من المذاهب الدينية الفلسفية القديمة في فترة ما بين موسى والمسيح .. يقول بأن العالم مركب من أصلين أزليين هما : النور وجوهرة الصفاء والنقاء والجمال .. الظلمة وجوهرها القبح واللؤم والكدر . ومن أقدم مذاهب الثنوية الزرادشتية نسبة الى زرادشت وقد شاع هذا المذهب خاصة في بلاد فارس .

بريشة : عصام الشرقاوي



ثقافة أدب وفن

قصة قصيرة: الجحيم على أبواب متلا

مع عصر الثامن من يوليو ابصرت شبحا هزيلا يسير الهوينا يكاد يقع على الارض من شدة هزالة يرتدي ملابس الميدان كاملة ويقبض بيد مرتعشة على سلاحه وما كاد يراني من بعيد حتى اشار الي فذهبت اليه مسرعا ونظرت الى عينيه فاذا هي تدور كالذي يغشى عليه من الموت ووجهه تعلوه صفرة كصفرة الاموات.
قلت .. لطفي .. تماسك يارجل فلم يرد على جوابا .. واشار الى فيفمه .

بقلم : عطية موافي

فاجلسته واحضرت ماء ليروى به جوفه الذي جف مثل الحطب .. ومع الطعام والشاي قلت لصديقي ماذا حدث ؟

فقال .. وهل هناك كلام يفيد في هذا الموضوع .. ؟

قلت .. كل شيء يتصلح .. فنظر صاحبي بشك الى ما اقول ثم قال .. اتذكر عندما كنا في اليمن .. وكانت القوات قد فرغت من مهام القتال ..

قلت .. نعم ..

قال .. وحضر المشير عامر الى القيادة السرية في صنعاء ودعا الضباط الى اجتماع لمناقشة الموقف ..

قلت .. وماذا في ذلك ؟

قال .. وتذكر القصة التي تناقلتها الالسن همسا .

قلت .. وما هي .

قال .. عندما تجرأ عقيد أ.ح من محور الجوف وقال وما قال .. قال سيدي المشير بعد اذنك .. اننا هنا على ظهر الجبال منقطعين عن التدريب لنا فترة تكاد تصل الى خمس سنوات وان الجيش الاسرائيلي يواصل تدريباته ولم يستهلك معداته ..

ونخشى ان تغتنم اسرائيل الفرصة لكي تشن هجوما على سيناء ؟!

ولم يتم الرجل كلامه حتى قال له المشير . اسكت .. اسكت اجلس .. كيف تتكلم في مثل هذه الامور .. هذه سياسة عليا لا يعرفها في البلد الا اثنان .. ولقد اعددنا لكل شيء عدته ..

وسوف ترى كل شيء في وقته وحينه.

تلفت الضابط حوله فاذا بالجميع ينكسون رؤوسهم ولا احد ينبث شفة وحاول ان يتكلم فلم يجد من يؤازره وهو يعلم ان الجميع على رأيه وما ان انفض الاجتماع حتى كان الضابط في طريقه الى المعتقل مع كثير من امثاله بحجة انهم من الاخوان المسلمين .. قلت وما دخل هذا باللطفي في نكبة اليوم .. انا اسألك عما حدث لك ..

قال : كان موقع الكتيبة في جبل لبني .. وفي صباح ٥ يونيو اعلنت زيارة المشير واستعدت القوات كما هي العادة لاستقبال المشير ؟!! .. وقيدت المدفعية خوفا على طائرة المشير .. وابصرنا فاذا بطائرات تحمل نجمة اسرائيل محلقة في السماء تصول وتجول دون عائق .. وسمعنا على البعد اصوات انفجارات تتلوها انفجارات وعلمنا من الاذاعات ان الحرب قد بدأت .. فتهيأنا لاستقبال العدو ؟!؟

وفي اليوم الثاني كنا نضرب بالطائرات وليس لطائرتنا اثر في الجو ولكن المدفعية ردت عليهم بعنف واسقطت لهم طائرتين اسرنا طياريهما وظهرت دباباتهم فاشتبكنا معهم بنيران حامية فارتدوا على ادبارهم .. وكان كل شيء يسير سيرا حسنا ..

وفي اليوم الثالث صدرت للقوات اوامر الانسحاب .. وانسحبت الكتيبة بنظام تام لم تترك جنديا او بندقية .. سوى قوات تعطيلية للعدو تستر الانسحاب .

قلت .. عظيم ..

فنظر محدثي الي وشرب جرعة طويلة من الشاي الثقيل ..

وقال .. صب كباية ثانية .. لي ٤٨ ساعة لم اذق قطرة شاي ؟

قلت اكمل القصة ..

قال .. اي قصة .. لا تلكزني .. اتريد ان تسمع عارنا ..

قلت .. ولكننا نعشق القصة ونريد ان نعرف الحقيقة .

قال .. اي حقيقة .. الحقيقة ماتت وسط الدخان .. لا يوجد من يعرف الحقيقة في هذا البلد .. واذا عرفها فلا يستطيع النطق بها اتنسيت عيون المخابرات .. ؟ والسجن الحربي .. والواحات .. وغيره كثير .

قلت .. لسنا الان في هذا ولكني اسأل عن المعركة .

قال .. اي معركة وهل اتيحت لنا فرصة .. لكي تدخل في معركة .. انها مهزلة .. او قل اي شيء غير المعركة .

كدت أيأس من محدثي وخشيت ان ينام من حيث انه مضجع على سرير والتعب باد عليه وعندما خلع حذاءه فاذا بقدميه مورمة لا يستطيع وضعها على الارض وحل عليه التعب .. فرشوته بكوب كبير من الشاي لكي انتزع منه الكلمات انتزاعا .

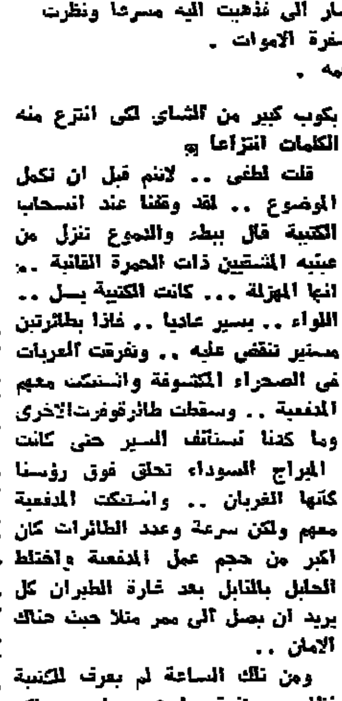
قلت لطفي .. لاتنم قبل ان تكمل الموضوع .. لقد وقفنا عند انسحاب الكتيبة قال ببطء والدموع تنزل من عينيه المشقين ذات الحمرة القانية .. انها المهزلة ... كانت الكتيبة بيد .. اللواء .. يسير عاديا .. فاذا بطائرتين مستير تنقض عليه .. وتفرقت العربات في الصحراء المكشوفة واشتبكت معهم المدفعية .. وسقطت طائرة ميراج الاخرى وما كدنا نستأنف السير حتى كانت الميراج السوداء تحلق فوق رؤوسنا كأنها الغربان .. واشتبكت المدفعية معهم ولكن سرعة وعدد الطائرات كان اكبر من حجم عمل المدفعية واختلط الحابل بالنابل بعد غارة الطيران كل يريد ان يصل الى ممر متلا حيث هناك الامان ..

ومن تلك الساعة لم يعرف للكتيبة نظام .. تفرقت ايدي سبا .. ولكن معظم العربات كانت تسير ثم تلاحقها الطائرات فيصاب من يصاب وينجو من ينجو حتى اذا كنا على مشارف ممر متلا تنفسنا الصعداء .. لان السيد المشير قال في اليمن لقد اعددنا لكل شيء عدته وعلى اقل تقدير تكون الممرات الحاكمة بمداخلها الى القناة وما تبعها من مدن وقرى وقناة السويس نفسها وتأمينها .. فلابد ان يكون الممر به خط دفاع حصين تقتل عنده قوات اسرائيل وخصوصا انه مرتفع وامامه ميدان فسيح هو عمق سيناء ..

قلت . وكيف ومتى وصلتم الممر . وكيف وجدتموه . .

قال .. متى .. لا ندري لاننا كنا تائهين في الصحراء بعد ان انفرط عقدنا فلا نجد شجرة نستظل بها ولا مبنى نستريح فيه ولا موقع نتحصن

« البقية الاسبوع القادم »



مريم فخر الدين : بالرغم من أنها تمثل الأدوار الصغيرة الا انها مازالت نجمة

كتبت ـ ثناء الكراس :

خلال أربعة وثلاثين عاما كانت ولا تزال نجمة متألقة على الشاشة وكانت البطلة للعديد من الافلام .

وحتى الان مازالت تمثل في الافلام والمسلسلات لانها تحب ان تمثل ولاتستطيع البعد عن الاضواء .. غير انها ترغب في هذه الفترة التفرغ للكتابة للسينما والتليفزيون .

●● ماذا عن اربعة وثلاثين عاما هي عمرك الفني ؟ .

ـ عمري الفني بدأ منذ عام ١٩٥١ وكان يتطور بين كل عشرة افلام اقدمها وقد قدمت للشاشة كما كبيرا من الادوار التي كنت قد تمنيت تمثيلها .. وعندما جاء زمن البطولات السينمائية اعترفت بالواقع واصبحت اشترك بادوار صغيرة في الافلام حتى اكمل الصورة الفنية مثلما اكمل لي نجوم الخمسينات : امينة رزق ، زكي رستم ، حسين رياض الصورة في افلامي .. وهذا هو حال الدنيا . ولكن حتى الان فانا اعتز بنجوميتي ، ومن خلال ايماني بحب الجمهور لي فانا اطل عليه بادواري الصغيرة من شباك وشاشة السينما دائما .

●● كيف دخلت مريم فخر الدين مجال الفن ؟ .

ـ اختارني الفن من خلال مسابقة الجمال التي اقامتها مجلة « ايماج » الفرنسية والتي حصلت فيها على الجائزة وقدرها مائتان وخمسون جنيها وبعد ذلك عملت في السينما مع الاستاذ عبده نصر مدير التصوير الشهير .. بعد ان اقنع والدي ووافق على شروطه الكثيرة .. وكانت هناك قائمة ممنوعات توضع دائما من والدي للمنتجين والمخرجين حتى ان محمود ذو الفقار خرج من هذه الشروط بالزواج مني .

●● قارني بين الجيل الماضي والجيل الحاضر في الفن ؟ .

ـ الفن زمان كان يتم بهدوء ويحب كبير قد يفوق حب الفنانين له الان كان العاملون كل في مجاله يحترمون عملهم ويلتزمون بمواعيدهم ، عكس ما يحدث الان .

مريم فخر الدين

●● متى قررت نجمة الخمسينات تمثيل ادوار الام على الشاشة ؟

ـ انا اتخذت هذا القرار فور ان اصبحت ابنتي شابة في الثامنة عشرة والسن له حكمه في هذه الحالة .

●● النجومية والشهرة ماذا اخذتا منك ؟

ـ النجومية والشهرة مازالتا يعطيانني الحب والتقدير والاحترام واخذتا مني تفرغي لابني وابنتي وهما في مرحلة الطفولة اما المقابل المادي فانا اعيش من ايرادات الفن ، ومنذ وفاة والدي اما قبل ذلك فقد كانت كل مصروفاتي اتقاضاها من والدي .

●● يلومك البعض لقبولك اخيرا لادوار لاتتناسب مع تاريخك الفني ؟ .

ـ قبولي لهذه الادوار .. كان فقط من اجل اكمال الصورة كما قلت من قبل ولاري جمهوري ويراني جمهوري من خلال الشاشة ومهما كانت الادوار الصغيرة .. فالنجومية لاتنتقص ابدا ، فانا مازلت مريم فخر الدين .

●● الم تفكري في التمثيل للمسرح ؟

ـ المسرح يحتاج لممثلة متفرغة تقريبا ، ليس لديها ارتباطات زوج واسرة واولاد وام ايضا ، فانا لاأستطيع السهر بعد الحادية عشرة.. ووقت الفراغ عندي قليل وافضل ان اجلس في بيتي ومع اسرتي .

●● لماذا لم تستمر ايمان ذو الفقار في التمثيل ؟

ـ ايمان ليست هاوية للتمثيل ، وكنت اغضب عليها في هذا الامر.. عندما كانت ، لتذهب الى اماكن التصوير التي يطلب منها الوجود فيها .. ولانها لم تحب الفن فلم يحبها الفن ، فكان طبيعيا الا تستمر في مجاله .. وهي الان متفرغة لابنها وزوجها وابنتها .

●● اخبارك كمؤلفة .. ماذا عنها ؟

ـ هناك مسلسل عن « الام » لدى المخرج يحيى العلمي ، لااعرف متى سينفذ ، وعند مسلسل آخر .. وانا لااستطيع الدق على الابواب لاحسن تنفيذ مؤلفاتي .. والذي تمهد لها كبار المؤلفين .

اما الان فانا مشغولة بتمثيل دور هام في فيلم « الابتسامة » دون تسمية ترتجف « اخراج حسن الصيفي .

كلمة

منذ عدة اسابيع ارسل لي احد القراء مجموعة من اعماله الفنية وكانت عبارة عن بعض الاشعار وبعض القصص القصيرة .. والحق انني استبشرت خيرا ان الشباب الجديد في « الاحرار » يجد له قراء .. واستطاع اخيرا ان يجذب بعض الاقلام .

وبكل اللهفة والشوق ـ وليس هذا تعبيرا مستهلكا في هذا الظرف ـ رحت اقرأ ما وصل لي ..

آسف لان اقول ان ما قرأته لا يساوي ما كان جيلنا نكتبه منذ اكثر من ثلاثين سنة !! بل الواقع انه لا يساوي شيئا على الاطلاق وكان يجب ان اقذف به الى صندوق الزبالة !!

ومع هذا فقد احتفظت بما ارسل الي .. عادة سخيفة من عاداتي انني لا افرط في اي ورقة ابدا ..

وفي الاسبوع الماضي فوجئت باحدى الزميلات تطلب مني ان اترك المواد التي ارسلها السيد المشار اليه .. وانه كان عنيفا في طلبه .. السخ ...

وبالطبع معنى هذا انني امام انسان لم افهم عبقرية السيد المذكور .. واما ان بيني وبينه حزازات .

والاخيرة غير موجودة ..

تبقى الاولى ..

واعود الى الماضي ..

منذ اكثر من ثلاثين سنة كتب استاذنا توفيق الحكيم قصة في اخبار اليوم باسم « ليلة الزفاف » وعندما قرأتها تصورت انني قادر ان اكتب مثلها .. بل ربما احسن منها .. وهكذا ارسلت قصة لاخبار اليوم اعتقدت وقتها انها قمة من قمم الفن تتوارى بعدها قصة توفيق الحكيم .

ولابد ان اخبار اليوم في تلك الايام البعيدة كانت كثر المصادقا بقرائها مما هي فيه هذه الايام .. ذلك انني فوجئت برسالة وقع عليها مصطفى امين وفي الرسالة يقول مصطفى امين بطريقة تقليدية ان القصة « نويسة » ولكن المقام لا يسمح بنشر القصة » !

وبومها قلت ـ في نفسي ـ ما لابد ان يقوله الان الاستاذ المذكور في اول هذا المقال .. يعني الشللية . مع ان هذه الكلمة لم تكن موجودة في تلك الايام » !!

وتمر السنون .. واتعلم .. وافهم . واحاول في كل يوم ان اتعلم وان افهم . ثم اكتشف بعد ذلك .. وبعد سنوات طويلة قضيتها في التحصيل .. اكتشفت انه لو كان قد جنت خطأ تاريخي ونشر شخص ما القصة المرفوضة ثانيا لابد وان تكون كارثة .. لانه بعد هذه السنوات الطويلة من الدروس ادركت .. ان هذه القصة غاية في التفاهة ..

فيا صديقي الذي لا اعرفك .. انني احدثك هذه القصة واحب ان اقول لك اخيرا ان العادة قد جرت على عدم رد المواد التي يرسلها شخص ما الى اي صحيفة .. ولكنني سوف اكسر القاعدة هذه المرة واترك لك كل اعمالك الفنية في مكتب الاستاذ نائب رئيس مجلس ادارة الدار وارجو ان تحتفظ بها لتقرأها .. ليس بعد ثلاثين سنة .. بل بعد سنة واحدة فقط !!

عين .. سين

أخبار أدبية

دخان القلب المحترق : ديوان ـ للشاعر الشاب الكويتي خالد مصباح مظلوم .. والديوان يعرض العديد من المصائب والنكبات القومية .. بجانب قصائد المدح والهجاء !

■ عن الدار العالمية للطباعة والنشر في بيروت صدر كتاب الدكتورة فاطمة المرنيسي ـ الحب في حضارتنا الاسلامية ـ من موضوعات الكتاب : هل الحب والشهوة والجنس مواضيع محرمة في حضارتنا ؟ الحب كظاهرة انسانية ما هو الحب ؟ .. المرأة كمجال للشهوة وبالتالي عدو العقل ..!

■ خصصت المجلة الشعرية ـ البلجيكية ـ عددها الخامس والعشرين للشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية . وقد تضمن قصائد ودراسات عن الشعراء : جاك سينال ـ بشير الحاج علي ـ رباح بالعمري ـ طاهر جاووت وغيرهم ..

■ وعن المجلس الثقافي للبنان الجنوبي صدر كتاب بعنوان عامان من الاحتلال .. عامان من المقاومة .. ويحتوي الكتاب على مادة الندوات التي اقامها المجلس في ذكرى الاجتياح الصهيوني للبنان وانطلاقة المقاومة الوطنية اللبنانية الشجاعة .

■ صدرت ترجمة انجليزية للاعمال المختارة من كتابات الزعيم الصيني ـ دينج شياو بينج التي بيع منها ٤٥ مليون نسخة خلال ستة شهور عندما نشر لاول مرة في بكين . تضم الترجمة ٤٧ كلمة القاها بينج مابين عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٨٢ .

■ كتاب ارسطو ـ دعوة للفلسفة ـ والذي كان مفقودا وعثر عليه منذ حوالي عشرين عاما . قام بترجمته الى العربية الدكتور عبد الغفار مكاوي . استاذ الفلسفة بكلية الاداب ـ بالقاهرة وكان ارسطو قد كتب هذا الكتاب في المراحل الاولى لشبابه ..

■ المرأة في شعر البياتي ـ عنوان دراسة نقدية جديدة صدرت مؤخرا ـ للشاعر احمد سويلم والدراسة رحلة في عالم شعر عبد الوهاب البياتي يتناول فيها كاتبها الجوانب الذاتية والموضوعية في شعر البياتي .

■ يرحمه الله ـ كتاب من تأليف الدكتور محمد الجوادي تضمن الكتاب كلمات عن : محمد زكي عبد القادر ـ صلاح عبد الصبور ـ فهمي عبد اللطيف ـ يحيى المشد ـ بدر الدين ابو غازي .

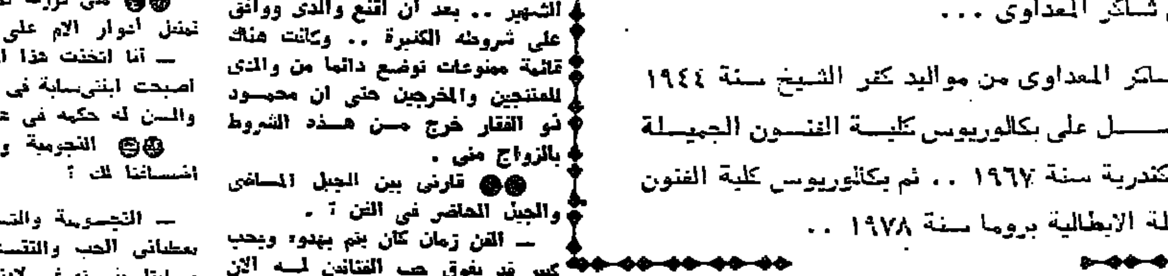
لوحة





في قاعة اخناتون بمجمع الفنون بالزمالك .. معرض للفنان شاكر المعداوي ...

وشاكر المعداوي من مواليد كفر الشيخ سنة ١٩٤٤ وحاصل على بكالوريوس كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية سنة ١٩٦٧ .. ثم بكالوريوس كلية الفنون الجميلة الايطالية بروما سنة ١٩٧٨ ..



الفن والفنانون

ثاني قسم للمسرح بآداب القاهرة

تتفاوض كلية الاداب جامعة القاهرة حاليا مع المخرج الممثل محمود مرسي ليشرف على قسم جديد للمسرح بالكلية وقد اتخذت الكلية خطوات لتأسيسه وافتتاحه اول العام الدراسي القادم واقترح الفنان محمود مرسي ان يسمى القسم المذكور .. قسم المسرح والدراما وفنون الممثل ..

ومن المعروف ان هذا القسم هو ثاني قسم للمسرح في الجامعات المصرية حيث انشأت جامعة الاسكندرية في العام الماضي اول قسم للمسرح واسندت رئاسته الى د . لطفي عبد الوهاب صاحب فكرة القسم واستاذ الحضارة بالكلية .

كما استطلعت الجامعة رأي نقابة الممثلين في هذا الشأن فابدت ترحيبها بالقسم المذكور واعربت عن أملها ان تساهم هذه الاقسام في حل ازمة المسرح .

تكريم يوسف وهبي في الفيوم

تقدم الفنان عبد الله احمد عبدالله ، يحيى شاهين ، محمد طلبات الى مجلس مدينة الفيوم اثناء احتفال المجلس بذكرى الفنان الراحل يوسف وهبي تضمن اقامة تمثال كبير للفنان الراحل واطلاق اسمه على احد شوارع مدينة الفيوم بوصفه من مواليدها وعلى الفور وافق اللواء فاروق محيي الدين رئيس مجلس المدينة على هذه الطلبات وبدأ الفنان النحوي محمد الفولي معوض في تصميم التمثال .

ومن ناحية اخرى يدرس اللواء ثروت عطا الله محافظ الفيوم فكرة نشر كتاب عن حياة الفنان يوسف وهبي .

فيلمان سينمائيان في الذكرى العاشرة

يستعد المخرج هنري بركات لاخراج فيلمين عن قصة حياة الموسيقار الراحل فريد الاطرش . الاول يشترك في بطولته ويؤدي دور فريد فيه الفنان اركان فؤاد . ونجلاء فتحي في دور سلوى القدسي الخطيبة الاخيرة لفريد والفيلم يتناول الفترة التي عاشها فريد في مصر وشهرته في العالم العربي .

الفيلم الثاني حول قصة كفاحه الطويل حتى تربع على عرش الغناء وقصة حياة شقيقته اسمهان ويمثل فيها دور فريد عماد رشاد والهام شاهين في دور اسمهان على ان يكون اداء عماد رشاد والهام التمثيل فقط حيث يستعين المخرج بشرائط تسجيلات بصوت فريد واسمهان .

عزت العلايلي روض النمرة على المسرح

يعود الفنان عزت العلايلي الى خشبة المسرح بعد غيبة اربع سنوات ليقوم ببطولة مسرحية عن قصة شكسبير « ترويض نمرة » اعداد .. سمير سرحان ويخرجها سعد اردش على ان تعرض في الموسم الشتوي للمسرح .

وحتى الان رشح المخرج للبطولة النسائية الفنانة ..

كلاب البحر في الصيف فقط

يصور الان المخرج سيد سيف فيلم « كلاب البحر » قصة وسيناريو وحوار شريف المنياوي . وبطولة محمود ياسين . جلال عيسى . محمود عبد العزيز . وفاروق الفيشاوي .

... تصوير بعض المشاهد من الفيلم وارجىء تصوير ... الشاطىء ... تصوير المشاهد تحت الماء .

كاميليا المليونيرة الهاربة

قصة حياة الفنانة الراحلة كاميليا تحولت الى فيلم سينمائي بعنوان « المليونيرة الهاربة » سيناريو وحوار احمد صالح وبطولة نوسي ، احمد مظهر وجلال عيسى . اخراج سمير الخولي .

ومن المعروف ان قصة حياة كاميليا قد تناولها اكثر من ... على ... الذي اخرجه عاطف سالم .

ميادة الحناوي لاول مرة على الشاشة

بين المغرب واسبانيا والقاهرة يتم تصوير احداث فيلم « الحب الذي كان » قصة سيناريو وحوار بهجت قمر ، تمثل فيه الفنانة السورية ميادة الحناوي دور البطولة لاول مرة في السينما ، يشاركها بطولة الفيلم نور الشريف ـ مريم سعيد المنيم من اخراج حسين كمال .

هكذا من الاصل

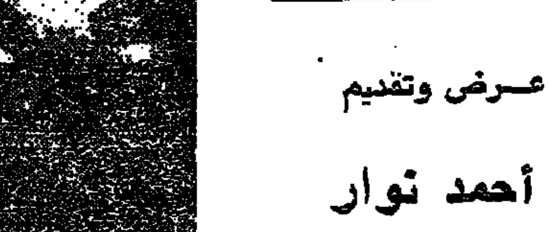
هكذا من الأصل

قصة ثورة الطلبة فى باريس مع بدء محادثات السلام فى فيتنام

كيف استغل « الارهاب » قضايا العنصرية والطائفية لقلب أنظمة الحكم

« جيفارا » •• الثائر الذى وصفه « سارتر » بأنه أكمل رجال عصره



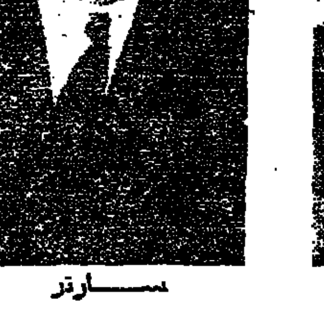


عرض وتقديم

أحمد نوار



جيفارا



سارتر



جنرال جياب

الكولونيل البرتو بايو هو الاستاذ الذى تعلم على يديه كاسترو وجيفارا مبادىء حرب العصابات •• وكان قد اشترى بأموال كاسترو مزرعة بناحية « سانتا روزا » : بالقرب من « مكسيكو سيتى » : اقام عليها مدرسة تدريب لرجال العصابات تحت ظروف تطابق التضاريس الجغرافية لتلاميذ كل بلد - من حيث الجبال والغابات والمستنقعات والساحات المكشوفة ، أو فى المدن من شارع لشارع - ومن بيت لبيت •• ويعتبر الكولونيل بايو ان جيفارا هو النجم بين تلامذته •• رغم أن تلميذه الاخر كاسترو حقق فى حياته نجاحا عالميا أعرض .

تشى جيفارا •• طبيب •• مسقط رأسه الارجنتين •• اشتهر بلقب « الثائر المتنقل » •• وأصبح واضع النظرية الثورية ومبشرها فى هذا الجزء من العالم •• أو كما يقول عن نفسه : « ولدت فى الارجنتين •• وحاربت فى كوبا •• وبدأت ان أكون ثوريا فى جواتيمالا •• وهو من اسرة أسبانية — ايرلندية - وكان مشتتا فى دراسته حتى تخرج ، دائم الترحال لا يقر له •• استهوته دراسة « الحرب التخريبية » - واكتسب شهرة بمؤلفه : « حرب العصابات » عام ١٩٦٠ •• ولكن بعد انتصار كاسترو فى كوبا : فشلت كل الحملات العالمية التى قادها جيفارا •• وحتى كتابه الذى كان بادرة شهرته : أصبحت مادته مجرد نظرية لا تصلح للتطبيق على أرض الواقع : بل وفى تعبير آخر « الزركشة » التى تزين النظريات السياسية الحديثة وفلسفتها .

ورغم هذا •• فقد كان جيفارا الرمز المجسد لرجال العصابات فى انحاء العالم •• وبالذات بالنسبة للارهابيين من طراز كارلوس .

قولة حق لابد منها •• ان جيفارا كان ثوريا •• ولكنه لم يكن ارهابيا قط •• كان يتحمس للعمليات ذات الطابع العسكرى فى الميدان •• ويرفض بشدة الهجمات •• والعمليات الارهابية •• وطالما حذر من مخاطر الارهاب لان الارهاب فى اعتقاده « يعرقل الصلة بالقاعدة الجماهيرية •• ويحول دون اتحادها فى اللحظات الحاسمة » .

كانت سياسته تدعو الى تجنب الاضرار بالجماهير لتشجيع استقطاب الاغلبية فى صف القضية •• وتعد كوبا ابرز مثال لنجاح هذه السياسة •• فقد ابدى الشعب الكوبى رغبته فى تحرير نفسه من القهر •• ورغم ضآلة موارد رجال العصابات •• وحرمانهم الواضح من الميزات المتاحة لخصومهم •• فانهم لم يتخاذلوا عن خوض الحرب الاهلية تحت شعار « الفارس المنقذ » الذى يتجاوب مع آمال الشعب •• فاكتسب تعاطفه ومساندته •• ودعمه •• ثم السير وراءه حتى النصر ••

ويعد الكاتب والمفكر الفرنسى ريجى دبيرال افضل تلامذة جيفارا •• وهو الذى حمل افكاره ومعتقداته الثورية وعمل على نشرها فى أوروبا الغربية .

كانت رسالة جيفارا تدعو الى اهمال كل المذاهب والاحزاب •• والاستمرار فى النضال •• ومن اتون الحرب •• سوف تنبثق المعتقدات السياسية الجديدة . بهذه الطريقة فقط يمكن ضرب الرأسمالية المستغلة ••

ففى خريف عام ١٩٦٤ •• بعد ان دانت السلطة فى كوبا لفيدل كاسترو : بمعاونة رفيق النضال والسلاح جيفارا •• هجر الاخير منصبه المرموق وانطلق يسعى فى ميدان آخر •• وقال لكاسترو : « سأعمل على تحرير كل أمريكا اللاتينية •• وسوف ابدأ ببوليفيا » ••

عندما وصل جيفارا •• كان الوقت قد فات •• فرجال العصابات فى هذا الجزء من العالم •• كانوا يتعرضون لهزائم قاسية •• ويتساقطون فى كل مكان •• فى الميدان قاد جيفارا الحرب بحماس متهور •• ولكن فى معركة مينوس منيا •• فقد كانت انباء انهيار رجال العصابات فى المناطق الاخرى من امريكا اللاتينية تحت ضربات الجيوش النظامية المدربة والمزودة — عن طريق الولايات المتحدة — بأحدث الاسلحة •• كانت هذه الانباء تملأ اجواء القارة •• وتفت فى عضد الثوار بكل مكان .

وفى خريف ١٩٦٧ •• تنكر بعض رجال الفرقة البوليفية الثامنة فى زى فلاحين •• واحاطوا بجيفارا ورجاله فى منطقة « سانتا كروز » - وبعد معركة قصيرة أصيب فيها جيفارا بجراح أعجزته عن الحركة •• سقط فى قبضة رجال الجيش البوليفى •• الذين اقتادوه الى مدينة « الاهيجويرا » وتلقى الجنرال جواكين انتانو اناتا وكان وقتها برتبة كولونيل » أمرا من لاباز •• باعدام « الزعيم » الاسير •• وهكذا كانت نهاية الثورى الشهير تشى جيفارا •• وسوف نرى ان موت جيفارا بهذه الصورة الدرامية العاطفية •• قد ولدت حوله القداسة الاسطورية التى ارتبطت باسمه •• على الرغم من انها فى الوقت ذاته •• سجلت نهاية حقبة من تاريخ العنف فى بوليفيا وأمريكا اللاتينية •• فقد اصبحت عبارة « جيفارا لم يمت » بمثابة نداء التجمع لكل الثوريين فى العالم •• أن يواصلوا النضال ••

وتجدر الاشارة هنا الى ان « الجنرال » زنتانو •• الذى تولى فى سن الخامسة والخمسين منصب سفير بوليفيا فى باريس •• لقى مصرعه فى ربيع عام ١٩٧٦ وهو يتأهب لركوب سيارته على شاطىء نهر السين . ولم تعرف هوية القاتل الذى أطلق عليه الرصاص •• وجاء ترتيب زنتانو الخامس فى قائمة القتلى من المسئولين عن [اعدام] وادعت جماعة تحمل اسم فرقة « تشى جيفارا » مسئوليتها عن الاغتيالات الخمسة التى وقعت فى خمس عواصم متفرقة •• ولعل الرمز وراء الانتقام لمصرع جيفارا فى العواصم العالمية •• يشير الى أن حركة الارهاب الدولى •• تطورت •• ولو بصورة جزئية من تاريخ حروب العصابات فى أمريكا اللاتينية خلال العقد السابق •• حتى أن كارلوس نفسه •• الذى وعى تاريخ أمريكا اللاتينية الحديث •• نما كزعيم تحت نفوذ كاسترو •• وفى ظل اسطورة جيفارا التى سادت معسكرات التدريب الكوبية حيث تلقى تدريباته

وكان كارلوس ايضا على علم بتحول رجال العصابات المحورين الى ارهابيين مدنيين . ولم يمض وقت طويل فى نصف الكرة الغربى : على اتحاد مجموعات صغيرة من الارهابيين •• مع جماعات تتفق معهم فى الفكر

« صراع الأجيال » •• وبدء تكوين القواعد الحمراء داخل الجامعات

والرأى •• ليتحولوا جميعا من الاهداف الوطنية الى الدولية •• وكما هو معروف فان للولايات المتحدة نفوذا قويا فى أمريكا اللاتينية •• وقد تعاونت المخابرات المركزية مع القوات المسلحة الامريكية فى تدريب واعداد قيادات وكوادر وقوات من المتمردين للعمل ضد انظمة الحكم اليسارية •• وضد المناهضين الرافضين للنفوذ الامريكى فى القارة •• واستغلت هذه العناصر على نطاق واسع فى تنفيذ سياستها الاقتصادية والعسكرية وكان تطورا طبيعيا ان بدأ الارهابيون فى شن الهجمات اولا ضد الرسميين والناصحين الامريكيين : ثم ضد رجال الاعمال •• واخيرا •• بهدف الضغط على الرأى العام الخارجى •• خطفوا سفراء الدول الغربية الاخرى ••

بموت تشى جيفارا •• كان الحرس الاحمر الثورى بجناح الصين •• وفور انتشار انباء موته •• زحف الشباب فى أكثر من ست مدن ايطالية •• ودخلوا فى معارك مع رجال البوليس وهم يرددون نداء الحرب « جيفارا لم يمت » •• وفى بون هاجم الشباب سفارة بوليفيا بالقنابل اليدوية •• وهم يقسمون على الانتقام لمصرع بطلهم المعبود •• وخلال شهور •• قام طلاب اليسار الجديد فى فرنسا باحتلال وتحصين شوارع العاصمة بالمتاريس •• واستخدم زعيما الطلبة « رودى دوتشيك ودانى كون بنديت — صورة الزعيم الشهيد •• لاثارة الحماس وتأجيج نيران الثورة .

ووجد المتطرفون الجدد بالجامعات الغربية سهولة فى الاقتداء بهذا الرجل « ذى البيريه » الذى مات فى جبال بوليفيا •• وكانت الظاهرة الواضحة ان هؤلاء الطلاب الذين احتلوا المبانى فى لندن وبرلين •• والذين اشتبكوا مع بوليس شيكاجو فى المؤتمر الديمقراطى المنعقد بالمدينة هؤلاء جميعا كانوا من اتباع جيفارا •• عاطفيا على الاقل فهم مثله من البيض •• ومن عائلات ثرية •• ولكنهم

بطريقة أو بأخرى •• يريدون تغيير العالم المستقر بالعنف والثورة •• حتى الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر نفسه قال عن جيفارا فى لحظة انبهار بأعماله : « هذا الرجل ليس مثقفا فحسب •• بل انه اكمل رجال عصره » .

ولعل الكثيرين من أتباع جيفارا قد انساقوا وراء حماسهم •• فأساءوا فهم مبادئه وأفكاره •• ويقول أحدهم فى مقال غفل من التوقيع نشرته مجلة « نيوزيك تايمز » مخاطبا رفاقه : صديقى •• نريد أن نرى هنا أكثر من فيتنام •• حروب بلا عدد •• قتل •• اعدام •• غارات مفاجئة •• هجمات ليلية •• قنابل حرائق •• دمار •• وبالطبع فان معظم الشباب الامريكى كان حتى ذلك الوقت متأثرا بأحداث فيتنام •• ولكن النقطة الجوهرية التى تتضح من الرسالة •• ان فكرة العنف والارهاب كحل لمشكلات العالم بدأت تسيطر على الاذهان •• وان الفكرة أصلا وردت من أمريكا اللاتينية .

ان نوعا من النهلستية (العدمية) الجديدة قد بدأ يسود وان « الفعل » من أجل الفعل •• أصبح الشعار •• وعند موت جيفارا •• كان الكاتب والمفكر الفرنسى ريجى ديبرا معتقلا فى بوليفيا •• وحكم عليه بالسجن ثلاثين سنة بتهمة مساعدة رجال العصابات •• ولكن بعد ثلاث سنوات تم الافراج عنه •• ويعد ريجى اكثر المتعاطفين الفرنسيين مع « جيفارا » •• بل انه أخذ على عاتقه أن يجعله بعد موته أشهر مما كان فى حياته

فى أحد مؤلفاته يتساءل ديبراى : من يقود الثورة ؟ ويجيب : « انها ارادة التاريخ الحتمية •• أن يتولى هذا الدور الطلبة والمثقفون الثوريون الذين عليهم أن ينطلقوا أو بمعنى آخر أن يبدأوا أقصى أشكال الصراع الطبقى]

وفى تفسير أكثر مهارة لنظريات جيفارا •• واصل ديبراى التأكيد على ضرورة الصراع المسلح على النمط

الكوبى •• وتأتى أهمية هذا التفسير على انتشار الارهاب •• فى انه يورط الشباب •• ويوحى اليهم بفكرة استخدام السلاح ضد « النظام » .

وأوضح الكاتب روبين بلاكبيرن هذه الحقيقة بشكل أفضل فى تقديمه لكتاب ديبراى « استراتيجية الثورة » •• بقوله :

« ان كتابات ديبراى قد ساعدت على انتشار اسلوب جديد للسياسات الثورية من العالم الثالث عودة الى العواصم الام للامبريالية » .

•• ومن هذا المفهوم •• فان الطريق يصبح مجرد خطوة ليخترق البطل الارهابى حاجز الوطنية •• وهو الدور الذى أداه كارلوس •• أى أن يموت المرء تحت راية فيتنام •• و فنزويلا او غينيا او بوليفيا •• فالامر كما شرحه ديبراى يستوى فى عائد المجد والرغبة بالنسبة للامريكى •• أو للاسيوى •• أو للافريقى •• أو حتى للاوروبى .

والطريق الى هذا النوع من المجد •• يخترق سلسلة من اضرابات الطلبة •• واعمال العنف الملازمة لها . وكان هربرت ماركيوز هو الفيلسوف الملهم بالنسبة لليسار الجديد والمتطرفين •• وكانت النماذج لحفزهم ودفعهم •• تتمثل فى : الحرس الاحمر فى الصين •• وذكرى تشى جيفارا •• أما الصلة التى تربط بينهما فهى الحرب الامريكية فى فيتنام •• ولم يكن من قبيل الصدفة أن تتزامن ثورة الطلاب فى باريس عام ١٩٦٨ مع بدء محادثات السلام الفيتنامية بالعاصمة الفرنسية وقال أحد القادة الفيتناميين عندما سئل وقتها عن شعوره ازاء اصوات الانفجارات ودخان القنابل المسيلة للدموع (شعرت بسعادة بالغة لوجودى فى باريس وسط هذا الجو الثورى الممتع » .

فى هذا الوقت •• كان اسم ماركيوز على شفتى كل طالب ثورى •• لانه تنبأ بأن قدر الطلبة ان يقودوا الثورة ضد الرأسمالية •• وكانوا هنا فى باريس يطبقون نظريته عن [القواعد الحمراء] فى الجامعات باحتلال السوربون وسد الشوارع بالعوائق والمتاريس •• والقتال ضد قوى الرجعية المتمثلة فى أولئك الرجال ذوى (اليونيفورم) والخوذات •• المسلحين بالبنادق والقنابل المسيلة للدموع تحت اسم (فرق أمن الجمهورية)

ولا بأس هنا من تعريف هربرت ماركيوز •• فهو من مواليد برلين عام ١٨٩٨ •• فيلسوف •• ومنظر •• (بتشديد وكسر الظاء) وعالم اجتماع •• وكان فى ذلك الوقت استاذ الفكر السياسى بجامعة كاليفورنيا . وقد قادته خبرته بالمجتمعات الصناعية الجديدة : الى الايمان بأن الثورة العلمية والتكنولوجية قد احدثت تغييرا فى بنيان الطبقة العاملة : وبالتالى تغيرت بعض المسلمات الماركسية •• ففى الغرب حيث ارسيت قواعد المجتمع التكنولوجى •• نمت ارستقراطية العمل •• ونشأ تحالف جديد بين أرباب الصناعة •• وبين الطبقة العاملة التى خمدت ثورتها ولم تعد تفكر من قريب او بعيد فى الاطاحة بالنظام المستقر .

وقد خلق هذا التطور موقفا أصبح معه أولئك الذين لقبهم ماركيوز من قبل بـ (الخارجيين) هم الآن الثوريون الحقيقيون •• ولم يكن قد سبق « للجهاز » ان استخدمهم أو استفاد من ميولهم واتجاهاتهم •• ومعظمهم من المضطهدين عنصريا •• او الجماهير المستغلة المقهورة فى العالم الثالث أو الطلاب والمثقفين الرافضين لاستكفة (الاستهلاك المريح) فى الغرب .

ولعل القاعدة الطلابية العريضة والمتزايدة — فى تصور ماركيوز — ومعها الطبقة المتوسطة الضخمة باعتبارها الاصل •• هى الاقدر على رؤية الصراع الروحى للعالم الغربى الجديد •• وهى العارفة بأخطاء المجتمع الذى نشأت فيه •• وعلى علم ايضا بالدمار الخارجى •• وكلاهما — الاخطاء والدمار — من الامور الطبيعية ومن صنع الانسان فى العالم الثالث .

وقد لاحظ ماركيوز •• أن معظم الشباب فى الستينات من هذا القرن فى صراع وتمرد فعلى ضد الاجيال السابقة فكرا واسلوبا •• ومن هذا المنطلق •• خلع عليهم لقب حراس المستقبل فى الصراع من أجل بناء عالم جديد •• وبادر فقدم لهم نظرية فلسفية مستحدثة حفزتهم للعمل .

طبع بمطابع الاهرام بالجلاء

